رواية

عضوية لويز

POLICE

د. محمد السنور



المدير العام / أسماء محمد نافع
مدير النشر / محمد عبدالرازق

رواية: عضوية لويز

تأليف: د. محمد السنور

مراجعة لغوية: دعاء السيد

تصميم الغلاف: مروة صلاح

التنسيق الداخلي: أسماء عطا

رقم الإيداع: ١٥٨٦٣

الترقيم الدولي: ٩٧٨/٩٧٧-٦٧١٨-١٤-٢

رواية

عضوية لويز

تأليف

د. محمد السنور

الطبعة الأولى لعام ٢٠١٩

رَقصةُ المَوت

القمر قد تلثَّم بوشاح الغيوم في السماء، والليل قد اكتسى بعباءة السواد، إنها ليلة الجمعة عطلة الأسبوع، فالجميع اعتاد الخروج للحدائق والتنزه خارجًا، ولكن ما هذا الصوت؟ أهو صفير الرياح! أم صافرات إنذار الحرب، أم هي أجراس الكنائس التي كانت تدق قديمًا.. معلنةً عن قدوم حدثٍ عظيم، العواصف بدأت تتراقص على أنغام تلك الأصوات، رقصات تقتلع أي شيء في طريقها لتجبره على الرقص معها.. ثم تلقيه بعيدًا أشلاءً مقطعة، إنها رقصة الموت.. بل إنها رقصات ما قبل الحرب، لم تتحمَّل الأشجار الصغيرة تلك الصدمة.. حتى بدأت أضلُعها تنكسر متبعثرةً على الطرقات، أما الأشجار العملاقة والنخل الراسيات؛ فقد ضحَّت بشموخها.. حتى قررت الانحناء والركوع طالبةً العفو والسماح أمام ذلك الغامض العظيم، السماءُ بالأعلى أرخت عَزَالِيَها، وبدأت تمطر كأفواه القِرَب.. والرعد يزأر بأعلى صوت حتى اهتزت أرجاء الجبال الشاهقة، السماء باكيةً بدموعها التي تهطل على الأرض متحسرةً، لعل تلك القطرات النقية تغسل ما أفسده الناس، مشكِّلَةً لحنًا متناغمًا وهي تتساقط، رائحة المطر التي تتدفق من النوافذ المفتوحة.. إنها بالكاد رائحة الطهارة، فجأه توقف كل شيء..

لم يهنأ أحد بتلك الاستراحة السريعة، هل هي الهدوء الذي يسبق العاصفة، ولكن العاصفة قد انتهت مخلفةً وراءها تلك الفوضى العارمة، أم أنها استراحة المحارب!

البرقُ يلمع بسيفه من الأعلى.. يكاد يخطف القلوب وهو يقترب من أعناق الفاسدين، يليه صرخة الرعد التي تشعل الرعب في القلوب.. تعالت أصوات الأمطار أكثر وأكثر.. كأنها فوارغ الرصاص يتساقط على الأرض، الأضواء في الطرقات بدأت ترتجف خوفًا حتى انقطع نبضها وانطفأت.. ليبدأ الهاتف الخلوي بالرنين..

فيمسك الأب هاتفه ويجيب:

- وعليكم السلام.. نعم أنا هو، من معي؟

تابع الأب بدهشة:

- ولكن.. ولكن لماذا؟!

ثم يتابع مجددًا ويده ترجف:

- حسنًا، سأحضر ولن أتأخر.. مع السلامة.

جلس الأب صامتًا جاحظ العينين لفترة.. شاحب الوجه والعرق يملأ جبينه وهو يفكر.. حتى بدأت الأمطار تهدأ وتتوقف.. وتخثرت شرايين السماء حتى انقطع النزيف.. وعادت الأضواء والكهرباء من جديد..

فسألته الأم والقلق يسيطر عليها:

- خيرًا يا أبا أمير، من قليل الذوق هذا الذي يتصل بك في هذا الوقت؟ وماذا يريد؟ كم مرة أخبرناك أن تغلق هاتفك! أنت الآن في العطلة وخارج أوقات العمل.. ولستَ مطالبًا بأن ترد على أحد.. لماذا تشغل بالك بزبائن الشركة؟ ليتني أعرف إلى متى ستظل مخلصًا هكذا.. وماذا سنجني من وراء هذا الاخلاص!

ردَّ الأب بصوتٍ هادئ وهو يخرج أنفاسه من فمه بهدوء:

- إنه ليس زبونًا يا أم أمير.

سألت الأم مجددًا بغضب:

- إذًا من ذلك الشخص، وماذا يريد؟

أجابها الأب مختنقًا كأن عنقه مقيده:

- إنه ضابط من مكتب الهجرة والجوازات، يطلب حضوري مبكرًا يوم الغد.

تدخَّل أمير في الحوار مندهشًا:

- ولكن ما السبب يا والدي؟

أجاب الأب محاولًا إخفاء خوفه:

- حاولت أن أسأله عن السبب ولكنه رفض إجابتي، ولكن لا تقلقوا جميعًا.. فقد طمأنني أن الموضوع بسيط، فقط عليَّ الحضور وكل شيء سيكون بخير.

قال أمير دون تفكير:

- سآتي معك يا والدي..

ردَّت الأم مسرعةً:

- بل أنا من سيذهب مع والدك، أما أنت يا أمير.. فستبقى مع إخوتك، ترعاهم وتهتم بشئونهم حتى نعود..

قاطعهم أبو أمير بصوتٍ هادئ:

- لن يذهب معي أحد، سأذهب وحدي..

ساد الهدوء قليلًا، ومرَّت الدقائق.. حتى سألت الأم من جديد:

- هل حدثت مشكلة بينك وبين أي أحد في العمل.. أو وأنت تقود السيارة في الطريق؟ أو أي شيءٍ آخر؟

أجاب الأب بثقة:

- أنتِ تعلمين جيدًا يا أم أمير.. أنني لم أذهب إلى أي مركز للشرطة منذ أن أتينا إلى هذا البلد، ولا يوجد لي خلافات مع أي أحد.

فجأة نظرت الأم غاضبة إلى أبو أمير وهي تسأله:

- هل ما حدث الآن له علاقة بأخيك؟

أجاب الأب بتوتر وهو يبلع ريقه:

- لا أعلم يا أم أمير، ربما!

بدأ أمير بالتلعثم بالكلام والعرق يتصبب منه:

- أأأ.. أريد.. لا أعرف.. لحظة..

فجأة نهض أمير من الكرسي.. وبدأ بجمع جميع الهواتف بالمنزل.. وأخفاهم في غرفة نومه، ثم عاد مرة أخرى..

فسألته الأم غاضبة:

- ماذا بك يا أمير.. هل جننت!

أجاب أمير بصوتٍ خافت:

- يبدو أن الشرطة تراقبنا أيضًا.. ولكن عن طريق هواتفنا.

قاطعته الأم سريعًا بنظرات لامعة:

- لابد أنهم يريدون القبض على تلك المجموعة.. ويدبرون خطة سرية أو ما شابه، وعندما علموا أننا نفكر بالسفر.. أو أن هناك احتمال بالسفر،

قرروا الاتصال بنا بالتأكيد.. ليخبرونا عن خطتهم بالقبض عليهم.. وألا نغادر ونستمر معهم حتى نستدرجهم، وتقوم الشرطة في النهاية بالإيقاع بهم.. والقبض عليهم جميعًا.

اقتنع الأب بذلك التفسير، وبدأت علامات الارتياح تظهر عليه كثيرًا.. ليقرر الذهاب في صباح الغد، وإخبار أسرته بكل ما سيحدث عندما يعود إليهم من جديد.

أخلد الجميع للنوم.. ولكن لا أحد يعلم ماذا يخبئ الغد.. هل ستصيب توقعاتهم.. أم أنَّ هناك أمرًا آخر.. ماذا سيحدث لتلك الأسرة؟!

ولكن أحدهم لم يستطِع أن يهنأ بطعم النوم، بل لم يستطع النوم التغلب على حزنه، ظل الليلة كاملةً يراقب تلك المِروحة المعلقة بسقف الغرفة.. وهو مستلقٍ على سريره.. وما أن بدأ النعاس يتغلب عليه أخيرًا، حتى بدأت ذكريات الماضي تزور مخيلته.. الواحدة تلو الأخرى، حتى أصبح الضيف ثقيلًا، فما أن غفل أمير قليلًا؛ حتى أتى ضيفٌ جديد ليخنق عنقه، فجأة استيقظ أمير من نومه سريعًا ممسكًا عنقه بيديه، يتنفس بصعوبة كالغريق.. وعينيه جاحظتين، مصدومًا مما رأى..

مَا قَبلَ العَاصِفَة

في بيتٍ صغيرٍ وسط حيٍّ متواضع.. لم تشفع له غربته في الخليج أن يرى ذلك الترف الذي يتحدثون عنه بالخارج.. فقد ترعرع في هذه الدولة.. شابٌّ وسيمٌ طموح.. طويل القامة.. نحيفٌ قليلًا.. كل طموحة هو تحقيق حلم والدته، وها قد وصل لمرحلته الأخيرة في الجامعة، حيث لم يبقَ إلا بضعة أشهر قليلة ويتخرج، ويحمل تلك الشهادة التي طالما كان يحلم بها أبواه.. فطالما كانت أمه تتمنى أن تراه طبيبًا أو صيدلانيًا.. وأن يساعد هؤلاء المرضى والفقراء.. الذين لا يملكون حتى نفقات علاجهم، ويساند أباه الذي عانى الكثير في هذه الحياة، ليرد له القليل من الجميل في مساعدة إخوته الصغار.. الذين لا زالوا يدرسون في المدارس والجامعات.

بين تلك الغرف المعقمة نهائيًا من الجراثيم، وبين تلك الرفوف الكثيرة المليئة بالعلب والعقاقير وزجاجات الأدوية، كان أمير يقف مع زملائه في الصيدلية الداخلية للمستشفى، يتدرب تحت يدي المشرف المسئول عن تدريبهم، ويأخذ الخبرات اللازمة، ليكمل الساعات المطلوبة لتخرجه.

وأثناء عودته من المستشفى.. وصل إلى منزله سعيدًا، ثم قام بتقبيل أمه كما تعَوَّد، بعد ذلك توجه إلى غرفته وخلع الزي الطبي "اللاب كوت" وبدَّل ملابسه، ثم ذهب إلى المطبخ كالعادة.. ليرى ماذا أعدَّت والدته اليوم من الطعام، حيث اعتاد دائمًا الذهاب إلى المطبخ والتحدث معها.. ولكن لاحظ نظرات هلع في عيون والدته ودعائها المتكرر "يا رب استر وسهل أمورنا"..

سألها أمير خائفًا:

- ماذا هناك يا أمي، هل توجد مشكلة؟

أجابته الأم وهي تقوم بتقليب البطاطس على النار:

- لا يا حبيبي لا تخف.. لا يوجد أي مشاكل تخصنا.. ولكن منذ قليل وردت لأبيك مكالمة أثناء الاجتماع في مقر عمله في الشركة.. أنَّ أخيه طارق قد تُوُفِّيَ صباح اليوم بطلقٍ ناريٍ في الرأس، أما ابن عمك سعيد فقد سافر هربًا.. وقد وكَّل والدك لكي يقوم بنقل جثمان عمك إلى موطنه.

لم يلقِ أمير بالًا للموضوع.. واستمر بأكل أصابع البطاطس المقلية أثناء حديثه مع والدته وهو يقول:

- أنا لا أعرف يا أمي إلى متى سنظل نتورط مع تلك العائلة، لقد كرهت عائلة والدي بالفعل، فبالرغم من أنهم أغنياء ومعهم المال الوفير، إلا أنهم أكلوا حق والدي بالميراث، وكل مصائبهم نحن من يتحمل نتائجها بالأخير، ولم نرَ الخير من ورائهم أبدًا، الويل لهم.. لقد سئمت من تلك العائلة، حتى أنه لا أحد يعلم مصدر دخلهم وثرائهم.. حتى أبي!

***

في المساء حيث النجوم التي تتلألأ في السماء.. اعتاد أمير الخروج مع صديقه علي، حيث أنه أوفى أصدقائه، بل وزميله أيضًا بنفس الكلية، يدرسان معًا.. ويخرجان سويًا ويتشاركان كل شيء، وبينما كان يتمشى مع صديقه علي، سأله:

- ماذا سنفعل عندما نتخرج، هل سنطبق ما تعلمناه حقًا؟ أم ستكون الحياة العملية مختلفه قليلًا؟

ردَّ علي باستغراب:

- أمير يا صديقي.. ماذا بك! لا تقلق.. كل ما يجب أن نفكر به هو كيف نجني الكثير من المال ونكون أغنياء، فسوق العمل بحاجة لنا..

سأله أمير من جديد:

- هل يمكن أن نبيع ضمائرنا في يومٍ من الأيام، في سبيل جني المزيد من المال؟

ضحك علي بسخرية قائلًا:

- أمير.. دع الفرصة تأتي أولًا.. وبعد ذلك سنقرر ماذا سنفعل.

فضحك أمير أيضًا.. وتشاركا الضحك سويًا.. ثم أكملا سيرهما.

***

بعد ساعات قليلة، وبعد أن غادر علي إلى منزله.. أمسك أمير بهاتفه ليجد كمًا هائلًا من المكالمات الفائتة من أحد أصدقائه.. الوقت قد تأخر قليلًا.. ولكنه الوقت المناسب لزيارة الصيدليات المزدحمة.. لذا قرر أمير الذهاب إلى ذلك الصديق القديم، وهو شابٌ صيدلي يعمل في صيدلية خاصة، تعرَّف عليه أمير أثناء تدريبه الصيفي منذ عام.. والذي قضاه في تلك الصيدلية المزدحمة.. وما أن هدأت الصيدلية قليلًا؛ حتى سأله الدكتور نبيل فجأة دون مقدمات:

- ما رأيك أن تمتلك صيدلية يا أمير!

تعجَّب أمير وسأله مذهولًا:

- أنت تمزح بالتأكيد يا نبيل! كيف ذلك؟

ردَّ الدكتور نبيل مبتسمًا بثقة:

- لا.. إنني أتحدث إليكَ بجدية.. فهناك صديق لي يود إنشاء صيدلية خاصة.. ولكن يريد شريكًا معه، إذا وافقت سأتحدث معه وأعرفكما على بعض، بعد ذلك تتناقشا مع بعضكما البعض في الموضوع..

فوافق أمير، لكنَّه طلب منه أن يمهله بعض الوقت، حتى يستشير والدَيه بذلك الموضوع.

***

في اليوم التالي عندما وصل أمير لبيته عائدًا من تدريبه، انتظر والده حتى عاد هو أيضًا من عمله، ولكن يبدو عليه علامات التعب.. فبدأ أمير الحديث معه:

- أريد أن أطرح عليك فكرة مشروع يا والدي..

- أرجوك ليس الآن يا بني، فأنا مرهق جدًا، لقد جئت منذ قليل من مركز الشرطة.. ولم أذُق طعمَ الراحة.. ولا حتى كأسَ ماء.

اندهش أمير وسأله:

- مركز الشرطة! ولكن لماذا؟ هل مقتل عمي له علاقة بذهابك للشرطة؟

رد الوالد بضيق وعيونه حائرة:

- نعم، لقد استجوبوني هناك يا أمير.. وأخذوا أقوالي حول ذلك الحادث باعتبار أنني قريبه الوحيد هنا.. ظنًا منهم أنني أعلم شيئًا عن ذلك الحادث، ولكن في النهاية تركوني وأخلوا سبيلي.. بعد أن تأكدوا تمامًا أنني لا أعلم أي تفاصيل عن تلك الحادثة، وعندما لم يجدوا لديّ أي إجابات على أسئلتهم الكثيرة؛ قاموا بأخذ رقمي وأعطوني أرقامَهم، وأبلغوني أن آخذ حذري وأتصل بهم في حالة الخطر، لأنه على ما يبدو أن قاتل عمك

قد قتله بدافع الانتقام، حيث كانت جريمة قتل مُحكمة ومدَّبرة بالكامل، يجب أن تأخذ حذرك يا بني أنت وإخوتك.. ولا تخرجوا من البيت هذه الأيام، حتى نتأكد أنه لم يعد هناك أي خطر.

سأله أمير بصوتٍ منخفض:

- هل سعيد موجود لدينا بالمنزل؟ لقد رأيت سيارته بالخارج.

أجابه والده متوترًا:

- نسيت أن أخبرك أن ابن عمك سعيد كان ينتظرني في مكتبي صباحًا على أحرَّ من الجمر.. أخبرني أنه لن ينتظر وسيفرُّ هاربًا اليوم.. لذا خرجنا سويًا إلى مركز المرور.. وسجَّل سيارته الثمينة باسمي قبل سفره بساعات، وطلب مني بعد ذلك أن أوصله إلى المطار، وعندما أوصلته هناك؛ وكّلني بنقل جثة عمك بطائرة خاصة لوطننا، وأن أسترد ما سأدفعه من مصاريف بعد بيع تلك السيارة الفارهة.. وقد تنازل عن الباقي في سبيل الهرب إلى مكانٍ مجهول.

لم ينتظر أمير حتى أخذ المفاتيح من أبيه ليرى شعار السيارة محفورًا بالمفاتيح..

- يا إلهي، لا تقل لي يا أبي.. إنها بنتلي الخارقة!

ردَّ والده ضاحكًا:

- يا أمير أنت تعرف أنني ليس لديَّ أدنى فكرة عن أنواع السيارات الفارهة، اخرج الآن وجربها.. وقم بجولة صغيرة بها.. ولكن اصطحب أخيك معك.

خرج أمير مبتهجًا من المنزل هو وشقيقه الصغير، وعندما وقعت عيناهما على تلك السيارة.. أحسَّا أنها أشبه بامرأة فاتنه من أصول ملكية.. تقف وحيدة في ذلك الحي المتواضع.. تكاد الأرض تهتز بهجة لأنها نالت شرف مرور تلك الفاتنة من فوقها.. أخذ أمير يلمس بشرتها الناعمة، ثم نظر إلى أخيه الصغير غير مصدق لما يحدث وهو يقول:

- يا إلهي.. انظر يا أخي.. إنها هي، وحمراء اللون كذلك!

غمرت السعادة وجه أمير، وبدأ يضحك وهو يقول:

- يا لك من ثري يا عمي.. تستحق فعلًا أن يقوم والدي بنقل جثمانك إلى وطننا..

ظل يضحك هو وشقيقه الأصغر، وعندما فتحا الشنطة الخلفية للسيارة، وجدا جهاز كمبيوتر محمول "لابتوب" قيِّم، فأخذاه معهما وهما يتجولان بالسيارة حتى انتهيا من جولتهما.. ثم عادا بعد ذلك إلى المنزل، وعند عودتهما للمنزل ومعهما "اللابتوب"؛ أبلغا والدهما أنهما وجداه بالسيارة، فأعطاه الأب لابنه أمير قائلًا:

- احتفظ به عندك.. يمكنك استعماله أنت وإخوتك في دراستكم.

بدأت الشمس تغيب، والليل يغطي بجناحيه عنان السماء، جلس أمير مع والده ووالدته، ليتحدث معهما بشأن الموضوع الذي عرضه عليه صديقه نبيل..

طرح أمير الموضوع على والده فجأة قائلًا:

- ما رأيك يا والدي أن.. أن ننشئ صيدلية؟

نظر والده له باستغراب للحظات، ثم فجأة انفجر من الضحك قائلًا:

- كيف لك أن تنشئ صيدلية وأنت لم تتخرج بعد!

فبدأ أمير يشرح الموضوع لوالده بتفاصيله..

حتى قال له والده:

- ولكن يا بني.. نحن لا نعرف ذلك الشخص الذي يريد مشاركتنا، ولا نعلم ما هي شروطه!

أجابه أمير أن صديقه الدكتور نبيل قد عرض عليه أن يرتب لهما لقاءً ليتعرَّفا على بعضهما البعض ويناقشا ذلك المشروع، وأنه يرى أنهم لن يجدوا أفضل من ذلك الرجل ليشاركهم، فهو خلوقٌ ومحترمٌ وأمين.. والأهم من ذلك أن لديه خبرة كبيرة جدًا.. تقارب الـ ٢٠ عامًا بالمجال الطبي هنا بهذا البلد..

كانت الأم مبتسمة ومبتهجة كثيرًا وهي تستمع لابنها أمير.. فلطالما كانت تحلم أن ترى ذلك اليوم سريعًا، وقامت بتشجيع ابنها على تلك الفكرة، رغم تحفُّظ الأب وتخوفه من الفشل الذي قد يحدث، حيث يرى أن أمير مازال صغيرًا ولا يمتلك أي خبرة، كما أنه لم يتخرج من الجامعة بعد.

بعد دقائق.. اتصل أمير بصديقه الدكتور نبيل، ليخبره بموافقة والديه المبدئية على المشروع.. ولكن بعد أن يقابلوا ذلك الشخص الذي يريد مشاركتهم، وبالفعل بعدما انتهى أمير من اتصاله؛ اتصل الدكتور نبيل بالدكتور سالم.. وسأله:

- مساء الخير، كيف حالك يا دكتور.. أتتذكر الموضوع الذي حدثتني عنه؟ لدي أخبار سارة لك..

وبدأ الدكتور نبيل بترتيب اللقاء الذي سيجمع بين أمير والدكتور سالم، ليتناقشا في ذلك الأمر..

***

في اليوم التالي التقى أمير بالدكتور سالم في مقهى راقٍ وسط المدينة، وذلك حسب الموعد المقرر بينهما للنقاش في موضوع الشراكة، وقد كان الدكتور سالم رجلًا يغلب على شعر رأسه البياض، ويميز وجهه تلك اللحية البيضاء الكثيفة، أما جسده فقد كان سمينًا قليلًا، تبدو عليه علامات الثقة بالنفس، فقد أقنع أمير ألا يحمل همًّا أبدًا من موضوع الأوراق والإجراءات، حيث بخبرته الكبيرة والتي تتعدى العشرينَ عامًا في ذلك المجال؛ لن يصعب عليه هذا الموضوع البسيط أبدًا، خاصةً وأنه أخبر أمير أنه هو من قام بتأسيس وتجهيز صيدلية صديقه.. والتي يعمل فيها مديرًا حاليًا، ولكنه غير مرتاح معه، لذا فقد قرر أن ينشئ صيدلية خاصة به وحده، أو هو ومن يريد مشاركته، حتى لا يكون تحت رحمة أحد، وقد أخبر أمير أنه هو الآخر سيكون مثله تمامًا ويمتلك كافة الصلاحيات، فهذه الصيدلية ستكون بالشراكة بينهما.. يفعلان فيها ما يحلو لهما، ويشعران بالاستقلالية ولا ينتظران أوامر من أحد..

اقتنع أمير بكلام الدكتور سالم.. حيث أنه اشترط على أمير شرطَين، الأول هو نصف المال المطلوب للشراكة، والشرط الثاني أن يقوم هو بإدارة الصيدلية في البداية، وذلك حتى تضع الصيدلية قدمها على بداية الطريق، ثم يوكل بعد ذلك الإدارة له.. بعد أن تقوى عظامه ويتعلم منه ويأخذ الخبرة اللازمة..

بالتأكيد هذا ما يحلم به أمير، فقد تحقق جزءٌ من حلمه قبل تخرجه من الجامعة.. ولاسيَّما أن من سيتولى الإدارة وتخليص الأوراق والمعاملات هو الدكتور سالم، وذلك لأن أمير ليس لديه أدنى فكرة عن هذه الأمور.. لكن الأخير طلب منه أمير إمهاله بعض الوقت، حتى يقنع والديه بالموضوع ويأخذ منهما الموافقة النهائية، لأنهما مصدر التمويل بالأساس، ورغم ذلك كان أمير في غاية السعادة.. وتبدو عليه علامات الرضا والفرح من ذلك المشروع.

عندما عاد أمير للمنزل وسط ترقبٍ من الجميع.. حيث كانوا بانتظاره على أحرٍّ من الجمر، فهم ينتظرونه ليعلموا ماذا حدث بينه وبين الدكتور سالم.. دخل أمير الغرفة وجلس بهدوء، وبدأ يخبرهم بكل ما دار بينهما، وأخبرهم أيضًا بالشرطين الذين طلبهما منه.. فردَّت أم أمير بثقة:

- إن الشرطَين بالحقيقة منصفان، فإن كنا سنتشارك في ذلك المشروع، فإننا سنسهم بنصف رأس المال، ولا مشكلة في ذلك.. لأن والدك سيبيع تلك السيارة الثمينة لنقل جثمان عمّك.. وما تبقى من المال يمكننا أن نستثمره في ذلك المشروع.. وبالنسبة للشرط الثاني أيضًا فهو ما نريده، وذلك لأنك مازلت لا تملك الخبرات الكافية للإدارة بعد، وممارستك للمهنة حاليًا كتدريب، ستهيئك لحياتك العملية فيما بعد.

مع موافقة الجميع وسعادتهم، كان الأب متخوفًا قليلًا..

ثم نظر إلى ابنه أمير متحيرًا وهو يسأله:

- لماذا نحن يا بني بالذات؟ لقد وافق أن يشاركنا وهو لا يعرف أي شيء عنّا.. لماذا لم يشارك صديقًا له بنفس عمره وخبراته أو زميلًا له؟ لماذا لم يشارك الدكتور نبيل مثلًا!

ردَّ أمير متعجبًا وهو يفكر:

- ربما لم يكن لديهم القدرة المالية لذلك، أو أنهم لا يريدون المجازفة بذلك المشروع.. والاكتفاء بذلك الراتب الشهري المضمون.

ولكن الأب لم يقتنع كثيرًا بإجابه ابنه أمير.. وظلَّ الخوف يطارد تفكيره.. ومع ذلك أخبر أمير بموافقته المبدئية، ولكن بشرط.. أن يتم ترتيب موعد آخر مع الدكتور سالم، ولكن هذه المرة بحضور والد أمير.. والذي كان متشوقًا أيضًا للتعرف على هذه الشخصية أكثر فأكثر، لاسيَّما بعد كل ذلك المدح والثناء من قِبَل أمير، طلب والد أمير من ابنه أن يتصل بالدكتور سالم غدًا، ويخبره بموافقتهم على المشروع.. والبدء بالإجراءات والبحث عن المكان المناسب والتفاصيل، وإعلامهم بالمبلغ المطلوب منهم.

***

في اليوم التالي اتصل أمير بالدكتور سالم:

- صباح الخير، كيف حالك يا دكتور؟

- أنا بخير الحمد لله، ماذا عنك أنت؟

- الحمد لله.. أنا أيضًا بخير.

- ها.. أبشر.. ماذا قررتم؟

- لقد وافق والدَيَّ بالفعل على المشروع، وأخبراني أن نبدأ بالإجراءات، ولكنهما طلبا تفاصيلًا أكثر عن المبلغ المطلوب للمشاركة، حتى لو كان بشكل تقريبي.

انتظر الدكتور سالم قليلًا يفكر.. وبدأ يتمتم ببعض الكلمات والحسابات الغير مفهومة، ثم قال:

- حسنًا المبلغ اللازم سيكون في حدود **60,000$** دولار أمريكي.. أي أنه مطلوب من كل طرف قرابة **30,000$** دولار، ومن جهتي سوف أبدأ بالبحث عن المكان اللازم، وأيضًا أريد منك في وقت فراغك وأثناء تجولك في المدينة بسيارتك، أن تبحث أنت أيضًا عن مكانٍ ملائم.. يصلح أن يكون صيدلية، وعندما تجد ذلك المكان.. أبلغني فورًا.

نقطة تصادم

اعتاد أمير الذهاب للمستشفى برفقة صديقه علي يوميًا بالسيارة.. لينهيا التدريب الخاص بالمستشفى، والمطلوب منهما في الجامعة.. مرة بسيارة أمير ومرة بسيارة علي، ولكن هذه المرة كانت بسيارة أمير.. إنه آخر فصل دراسي لهما بالجامعة.. لحسن الحظ أنها المستشفى الأكبر في هذا البلد.. الجو حار جدًا، تكاد الأرض تذوب وتغلي.. السيارات تقاس كفاءتها بسرعتها وعزمها.. ولكن هنا تقاس السيارات بقوة التكييف الداخلي لها.. ولمَ العجب فنحن في الخليج! حيث أيضًا لا تتوافر ميزة المواصلات والنقل الجماعي.. لا يوجد إلا سيارات الأجرة التاكسي بتكاليفها الباهظة.. ولا أحد يسمع بذلك المصطلح الغريب المسمى مترو! فتعداد السكان قليل جدًا.. ولا حاجة لذلك الإسراف والبذخ.. العادات هنا مختلفة تمامًا عن أي مكان آخر في هذا العالم.. نظام القبائل هنا لا يسمح للفتيات بركوب الباصات للمدارس.. كما أنه من العار أن يركب شباب الثانوية الباصات.. فتجدهم يستقلون سياراتهم الخاصة.. أغلب السكان هنا يوظفون سائقًا خاصًا.. وسيارة خاصة فقط للتوصيل للمدارس.. لقد أصبحت شروطًا أساسية قبل الزواج مع المهر والشبكة.. ربما ذلك هو سبب التكدس والزحام الشديد قرب المدارس.. فجميع المدارس بلا استثناء تقع في نفس المكان.. لا أحد يعلم إن كانت ميزة أو عيبًا.. ربما كانت ميزةً في الماضي والأعداد قليلة.. فلا تتعجب إن رأيت شخصًا ما أكثر من مرة في أماكن متفرقة من المدينة.. ولكنَّ الأعداد تزداد يومًا بعد يوم.. وأصبح هذا الشيء اليوم عبئًا ثقيلًا.. لم يكن لدى أمير وصديقه علي

أيّ طرقٍ بديلة.. ولكن ما أن يبدأ الدوام الرسمي.. حتى تعود شرايين الحياة لطبيعتها من جديد.. الجميع يأتون إلى تلك المستشفى من كل مكان، فهي الأفضل والأكبر بالتأكيد.. ربما هذا هو سبب الزحام الخانق يوميًا على مدخل ذلك الصرح الضخم..

بعد أن دخل أمير بصعوبة بالغة كالعادة، كان الوقت قد تأخر، وقد يتعرض هو وصديقه لبعض المشاكل، ولم يعد هناك وقتٌ كافٍ حتى يذهب أمير للموقف الخاص بالموظفين.. فهو بعيدٌ بعض الشيء عن مواقف المرضى والزوار، لأن الأولوية دائمًا لهم بالوقوف القريب.. حتى لو كانت المواقف خالية.. وبينما يتنقل أمير بين المواقف الخاصة بالزوار.. وأثناء ركنه لسيارته بالقرب من المستشفى، لاحظ دخول سيارة مسرعة قبله.. بالموقف الذي كان أمير سيوقف فيه سيارته..

وعندما ترجل أمير من سيارته ليتحدث إلى ذلك الشخص، تفاجأ بفتاة تلبس عباءة سوداء، ولم يلاحظ ملامح وجهها حيث كانت تركض مسرعة جدًا.. تضايَق أمير وصديقه علي من ذلك التصرف، لأنهما سيأخذان وقتًا إضافيًا للبحث عن موقف آخر، مما سيجعلهما يتأخران أكثر عن موعد تدريبهما.. وبالفعل عند دخولهما للمستشفى متأخرين، قابلهما ذلك المسئول الغاضب.. ووبخهما قليلًا على التأخير، وهددهما أنه في حالة تكرار ذلك الأمر مرة أخرى، سيقوم بإنقاص تقييمهما الذي سيرسله إلى الجامعة.

***

مضت تلك الساعات القليلة.. حيث كان تدريب أمير هذا الأسبوع في صرف أدوية المرضى على نافذة الصيدلية، كان يوجد ٥ نوافذ.. وقد طُلب من كل متدرب الوقوف على النافذة الخاصة به، وصرف الأدوية اللازمة للمرضى، ولكن تحت إشراف الصيدلي المشرف على كل متدرب.. في هذه الأثناء لاحظ أمير وجود فتاة تنظر إليه وتبتسم.. ابتسم أمير قليلًا وهو ينظر إليها خجلًا..

ثم سألها عن السبب قائلًا بخجل:

- لماذا تضحكين!

قالت له الفتاه وهي مازالت تضحك:

- ألم تعرف من أنا بعد؟

فأجابها أمير متعجبًا وهو يتأمل ملامحها الفاتنة:

- في الحقيقة لا أعلم، هل أنتِ زميلة لنا في الجامعة أو ما شابه؟!

أجابته الفتاة وفي وجهها علامات الخجل:

- أنا آسفة جدًا.. فقد أخذت مكان الوقوف الخاص بك في الصباح، ولم يكن لدي وقت لأشرح لك ظروفي، فقد كانت أمي بالعناية المركزة بالطابق العلوي، وحضرت مسرعة لأطمئن على حالتها الصحية.

رد أمير مبتسمًا:

- لا عليكِ، عذرك مقبول سيدتي، فأنا من أخطأت بوقوفي في المواقف الخاصة بالزوار.. ولكن ما هي حالة والدتك الآن.. هل هي مستقرة؟

أجابت الفتاة وهي متألمة:

- نعم، هي الآن أفضل بكثير، ولكن عليَّ الانتظار هنا كثيرًا حتى ينتهي دوري لاستلام تلك الأدوية الخاصة بها، ثم إحضار تلك الأدوية لها بالأعلى.

نظر إليها أمير متعجبًا ثم قال:

- يمكنك الذهاب إلى غرفتها والانتظار معها.. ونحن سنقوم بإرسال الأدوية مع الممرضات.. لا تقلقي فهي من ضمن الخدمات المجانية بالمستشفى.

ردت ريم بخجل:

- ولكنّي قلقة من أن تتأخر الأدوية، لذا جئت بنفسي.. حتى لا تتأخر أمي عن تناولها في الوقت المحدد.

نظر إليها أمير وهو يفكر ثم قال:

- حسنًا لا تقلقي.. لدي خطة جيدة ولن تنتظري هنا، سأقوم بجمع الأدوية دون أن يلاحظ أحد، ولكن أريد معرفة اسمك أولًا، واسم والدتك الثلاثي _أطال الله بعمرها_ وذلك لكي أتمكن من أخذ وصفتها الطبية، من بين تلك الوصفات الكثيرة، ثم بعد ذلك سأقوم بتجميع الأدوية سريعًا.

- حسنًا.. اسمي ريم.. واسم والدتي فاطمة سعيد أحمد، ولكن ما اسمك أنت؟

- ريم.. اسم رائعٌ وجميل.. أنا اسمي أمير.. والآن تفضلي بالجلوس في مقاعد الانتظار، لكي لا يلاحظ أحد ما سأفعله الآن، بعد ذلك سأقوم بالنداء على اسم والدتك، ثم تأتين أنتِ لاستلام الأدوية.

- حسنًا، شكرًا لك كثيرًا يا دكتور أمير.. لن أنسى لك هذا الجميل.

بدأ أمير بالبحث عن الوصفة الطبية الخاصة بوالدة ريم حتى وجدها، بعد ذلك بدأ بجمع الأدوية الخاصة بها بثقة تامة، كي لا يشك أحد بما يفعله.. حتى انتهى أخيرًا وقام بالنداء عليها باسم والدتها، وبينما يصرف لها الأدوية؛ طلب منها أن تطمئنه فيما بعد عن حال والدتها.. فأعطته ريم رقمها الخاص في ورقة صغيرة..

ثم قالت له وعيونها تملؤها السعادة والإعجاب:

- أرسل لي رسالة الآن برقمك واتصل بي في الليل.. وسوف أعلمك بكل شيء وأطمئنك، ولكن إذا أغلقتُ بوجهك الهاتف، فاعلم أنني لم أستطع الرد، وشكرًا لك مرة أخرى على كل شيء.

ثم أخذت الأدوية وغادرت.. وما هي إلا لحظات حتى أرسل لها أمير رسالة بها اسمه، فابتسمت ريم عندما رأت الرسالة وقرأتها.. ثم ذهبت لتعطي الأدوية لوالدتها في الطابق العلوي.

***

في المساء وبينما كانت ريم تجلس في غرفتها الواسعة.. تتذكر وعيونها في سقف الغرفة ما جرى معها في الصباح.. قطع تفكيرها رنين الهاتف.. سألت نفسها "هل هو أمير؟" ثم نظرت للهاتف بابتسامه خَجِلة، مترددة هل ترد؟ ماذا ستقول؟ حتى أجابت أخيرًا على المكالمة، بدأ أمير معها بالحديث والاطمئنان عن والدتها وصحتها، وبدأ الحوار يدور حول ريم وحياتها الشخصية، كانت ريم تجيبه بصوتٍ هادئ يغمره الدلال،

لتخبره أيضًا أنها لازالت تدرس في الجامعة.. إلى أن قطع حديثها والدتها.. التي كانت تتكئ من التعب وهي تدخل الغرفة..

سألتها الأم بصوت منهك:

- مع من تتحدثين في هذا الوقت يا ريم؟

فأجابت ريم بصوتٍ مرتبك:

- لا تقلقي يا أمي، إنها صديقتي، اتصلت بي كي تطمئن عليكِ.

ثم أغلقت الهاتف سريعًا، حينها علم أمير بما جرى.. فقد استمع للحوار أثناء المكالمة.. وفهم ما حدث ولم يعاود الاتصال.

***

في صباح اليوم التالي بينما كان أمير ينجز تدريبه، لاحظ تلك الفتاة الجميلة الجالسة في مقاعد الانتظار.. تراقبه من بعيد.. وعندما دقَّقَ أكثر بملامحها، نعم إنها ريم.. ولكن لماذا أتت اليوم! ولمَ تجلس وحيدة هناك! ذهب أمير سريعًا إلى غرفة الاستراحة في الصيدلية الداخلية واتصل بها..

ردَّت ريم وسألته باستنكار:

- من معي!

فأجابها أمير وهو يضحك:

- معك الذي تراقبينه منذ قليل..

ضحكت هي الأخرى وقالت مازحة:

- انتبه لعملك وإلا أخذت تقييمًا سيئًا..

توقف أمير عن الكلام للحظات ثم سألها متعجبًا:

- لحظة!، كيف علمتِ أنني أتدرب وأن هناك من يقيمني؟!

ردت ريم وهي تضحك بصوت مرتفع:

- لن أخبرك..

سألها أمير بخجل وبصوت هادئ متقطع:

- هل تسمحين لي بأن آتي وأحتسي القهوة معك في الكوفي شوب الموجود بالمستشفى؟

- موافقة ولكن بشرط، ألا أسبب لك أي حرج في عملك.

- حسنًا، لا تقلقي.

ذهب أمير بعد ذلك للمشرف.. واستأذنه ببضع دقائق للخروج، واضطُر للكذب عليه وأخبره أن لديه مشكلة كبيرة.. ويجب عليه الذهاب لحلها فورًا، فوافق المشرف بشرط عدم التأخر.. خرج أمير مسرعًا.. وظنَّ المشرف أن الحالة خطيرة بالفعل..

فقال له بشفقة:

- خذ باقي اليوم إجازة لا عليك، ولكن طمئِنّي فيها بعد.

***

ما أن خرج أمير من باب الصيدلية وهو يحمل الزي الطبي "اللاب كوت" الخاص به في يده، حتى وصل إلى ذلك المقهى الموجود بالمستشفى.. التقى بعد ذلك بريم، وجلس معها لتناول القهوة.. وأثناء جلوسها، كان أمير ينظر إليها وعيونه مليئة بالإعجاب والحب.. وهي أيضًا تبادله نفس النظرة.

سألها أمير بصوتٍ متقطع:

- هل يمكنني التعرف عليكِ أكثر يا ريم؟ فأنا لا أعلم عنك الكثير.

ردت ريم بابتسامه ثقة:

- ولِمَ تريد أن تعرفني أكثر؟

رد أمير بخجل:

- يعني.. أنتِ الآن عميلة مهمة هنا بالمستشفى.. وأريد فقط أن أعرف تفاصيلًا أكثر عنكِ.. هذا كل شيء.

ضحكت ريم قليلًا وسألته:

- وهل تفعل ذلك مع جميع عملائكم؟

أجابها أمير وقد زاد خجله:

- في الواقع.. لا.

- حسنًا أنا اسمي ريم كما تعلم، ومازلت أدرس في الجامعة في كلية الحقوق، وسأتخرج العام القادم..

قاطعها أمير مبتسمًا:

- جميل.. ستتخرجين بعدي إذًا، العام القادم.

- لقد قرأت البطاقة الخاصة بك، تلك التي تعلقونها على الزي الطبي.. قرأتها لأعلم بعد ذلك أنك متدرب وهناك من يقيِّمُك، ولكن أنت الآن في أي مرحلة؟

أجابها أمير بثقة وهو ينظر إلى عينيها:

- يبدو أن أحدهم مهتمٌ بي، لدرجة أنه اهتم بقراءة تلك البطاقة، فمنذ أن بدأ تدريبي هنا، لم ينتبه أحد لتلك البطاقة.. بل وكانوا ينادونني بالدكتور.. لدرجة أن المشرف الخاص بي في أحد المرات قام بمقاطعتي وأنا أصرف الدواء لأحدهم.. ليغضب منه ذلك الشخص ويقول له "دع زميلك الطبيب يتحدث، فأنت لست أفضل منه"، ليخجل بعد ذلك المشرف مما فعل وينسحب.

لمعت عينا ريم بالإعجاب أكثر وهي تقول:

- يبدو أنك بارع جدًا في عملك يا أمير، أرجو أن تكون كذلك للأبد.. وألا تتغير أبدًا مهما حدث.

- لن أتغير مهما كانت الظروف، وسأظل أقف بجانب من يحتاجون للمساعدة.

نظرت إليه ريم بخوف:

- هل تعدني يا أمير؟

ظلّ أمير صامتًا لفترة متعجبًا.. ثم أجابها بهدوء:

- في كلية الحقوق لديكم.. يؤدون ذلك القسم قبل تخرجهم، يقسمون أنهم سيعملون بكتاب الله وبالقانون لتحقيق العدل، وبعد ذلك نجد منهم المحامين والقضاة المستشارين ووكلاء النيابة، وفي النهاية.. مستحيل أن يتفق هؤلاء الثلاثة في قضية واحدة، أليس كذلك؟

- صحيح.. لأنهم اذا اتفقوا لن يكون هناك داعٍ للمحكمة من الأساس.

نظر إليها أمير بسخرية:

- طالما أن الثلاثة يختلفون فيما بينهم، إذًا هناك شخص منهم قد أخلَّ بقسمه، بالتالي.. أنا لست مهتمًا بذلك القسم الذي نؤديه عند تخرجنا أيضًا، ما يهم هو أن يظل ضميرك حيًّا مهما حدث.

انبهرت ريم بما سمعت.. ثم نظرت إلى ساعتها وانصدمت، فقامت بجمع أغراضها واستأذنت من أمير بالرحيل، ولكن أمير طلب منها عدم المجيء مجددًا إلى المستشفى، لأن ذلك قد يتسبب في مشاكل بينه وبين المشرف الخاص به.. فوافقت ريم واشترطت أن يتصل بها، وإلا فإنها ستغضب كالأطفال.. فضحك أمير ووافق بالتأكيد.

***

ومرت الأيام.. وكل يوم يتصل أمير بـريم مساءً، ليطمئن عليها وهو بالخارج يتجول بالسيارة، ليبحث من جهة أخرى عن مكان مناسب لإنشاء تلك الصيدلية، حتى اقترب موعد تخرج أمير من الجامعة.. وأنهى تدريبه من المستشفى، حيث كان الوحيد بين زملاء دفعته الحاصل على درجة الامتياز في ذلك التدريب، وذلك بسبب حب أستاذه الجامعي الشديد له، والذي طالما كان يرى في أمير شيئًا ليس موجودًا في الآخرين، وكان أمير يحب الجلوس دومًا في مكتب الأستاذ الجامعي، والتحدث معه في كل جوانب الحياة، حتى عندما كان في مكتبه آخر يوم وهو يسلمه تقريره الخاص بتدريب المستشفى ويتناقش معه.. فسأله الأستاذ الجامعي وهو يقرأ التقارير أمامه:

- كيف كان تدريبك يا أمير؟

- كان رائعًا وممتعًا للغاية، لدرجة أنني لم أشعر أنني كنت أتدرب، فقد كنت بالفعل أعمل معهم.

- جميل جميل.. أحسنت، لم تُخيِّب ظني فيكَ أبدًا، والآن لم يبقَ إلا أسابيع قليلة لاستلامك شهادتك، هل قررت أين ستعمل؟ وهل لديك تخطيط معين لمستقبلك؟

أجابه أمير متخبطًا:

- لا أعلم حتى الآن يا دكتور، ولكن أتمنى أن أعمل بالقطاع الحكومي وأبتعد عن القطاع الخاص، لأنه مليء بالخبرات اللازمة، وأيضًا العمل فيه مريح.. أما عن الدَّخل فهذا آخر ما يشغلني.

رد الأستاذ الجامعي:

- أحسنت يا أمير.. أريدك دائمًا أن تنظر للجانب المادي كآخر خيار، كل ما يهم هو أن تطبق عملك بإخلاص وأمانه.. وأن تكون أخطاؤك قليلة وغير مؤثرة، فالجميع يخطئ وأنا أيضًا أخطئ، ولكن يجب أن تتعلم من تلك الأخطاء وتستفيد منها فيما بعد، وفقك الله يا أمير، لقد كنت طالبًا مميزًا عندي، وبالطبع سأفتقدك كثيرًا.

وقف فجأة من كرسيه والدموع تغمر عينيه وهو ينظر إلى أمير، وقام بضمِّه بقوة وهو يقول:

- سأشتاق إليك كثيرًا يا بني، لا تنسَ زيارتي بعد التخرج، ولا تنسَ ما علمتك إياه، لا تكن مثل أولئك الذين تخرجوا وقد غيرتهم الدنيا وأفسدتهم، حاول أن تفعل شيئًا صائبًا في تلك الحياة، تذكَّر أنك إن أنقذت حياة شخص واحد؛ كأنك أنقذت حياة جميع البشر، النفس غالية

وعزيزة يا بني، ستجد هناك الكثير من الأغنياء ممن يحاولون التجارة بحياة الناس.. وأنت ذكيٌ جدًا.. وبحكم خبرتي أرى فيك الصفات التي تؤهلك لأن تصل للأعلى والأفضل، وستقابل تلك الشخصيات في يوم من الأيام.. فاحترس منهم.

رد أمير بأسى:

- وأنا أيضًا سأفتقدك كثيرًا يا دكتور.. فأنت من جعلتني أحب تلك المهنة، ولن أخيب ثقتك وظنك بي أبدًا.

ناول أمير أستاذه الجامعي التقرير المطلوب منه، ونال الدرجة الكاملة.. ولم يبقَ سوى أسابيع قليلة حتى يتسلم أمير شهادته التي كان يحلم بها، وقرر في هذه الأثناء _حيث أصبح الآن متفرغًا في الصباح والمساء_ أن يساعد الدكتور سالم بمجهود أكبر في ذلك المشروع.

***

بدأ أمير بوضع استراتيجية محددة للمكان الذي سيختارونه لإنشاء الصيدلية فيه، حيث سيقوم بتجميع الصحف والمجلات والإعلانات، والتي تقوم بعرض محلات متنوعة للإيجار، وأيضًا سيبحث في مواقع الإنترنت الخاصة بالإعلانات.. وبدأ أمير يتصل بالجميع، ويرتب معهم مواعيدًا لرؤية تلك الأماكن، ثم يقوم بدراسة تلك الأماكن من حيث المكان وسمعة المنطقة وسكانها والوضع الاقتصادي لتلك المنطقة، وأيضًا المبلغ السنوي للإيجار.. ثم بعد ذلك يقوم بعمل مقارنات، ليتصل بالدكتور سالم أخيرًا ويخبره بما فعل، بل وأحيانًا يذهب إليه إلى مكان عمله، ليتناقش معه سريعًا ويأخذ رأيه عن أفضل وأنسب مكان، وبالطبع

الأفضلية لأن يكون مواجهًا للطريق العام، وأن يكون إيجاره المطلوب مقنعًا وليس مبالَغًا فيه.

ظلَّا يبحثان سويًا يوميًا على هذا النحو، حتى استقرا مبدئيًا على مكانٍ جميل، تطل واجهته على الشارع الرئيسي، ويتَّسم المكان بوجود عدد ضخم من المطاعم والمقاهي، وكان يجاور ذلك المحل مطعمَين وصالة رياضية، ومن الجهة المقابلة من الشارع مول تجاري ضخم، ولكن قيمة الإيجار هي التي كانت تشكل عائقًا نوعًا ما، وفي النهاية اتفقا أن هذا المكان هو الأنسب.. بعد ذلك ذهب الدكتور سالم وأمير وأبو أمير لكي يروا ذلك المكان على أرض الواقع، ويناقشوا الموضوع قبل البدء باتخاذ القرار النهائي.

أعجب الجميع بالمكان.. ولكن اقترح أبو أمير الصبر قليلًا وعدم التسرع، حتى يعاودوا التفكير مرة أخرى، وبالفعل وافق الجميع بعدم التسرع وأخذ الوقت الكافي للتفكير.

***

في صباح اليوم التالي يوم الخميس استيقظ أمير من نومه.. ليجد والدته تجلس على الكرسي، ولكن هذه المرة حزينة.. وتظهر على وجهها علامات الخوف والحزن والصمت..

سألها أمير خائفًا:

- ماذا هناك يا أمي؟ هل والدي وإخوتي بخير؟ ماذا حدث؟ لماذا تحاولين إخفاء دموعك عني؟ ماذا هناك؟

أجابته الأم بهدوء:

- اطمئن يا عزيزي الجميع بخير، ولكن والدك ورده اتصالٌ اليوم.. يخبره فيه أحدهم أن لديه ٤٨ ساعة فقط لإحضار أوراق مهمة.. كانت بحوزة عمك طارق قبل موته، وطلبوا من والدك الحضور إلى مكانٍ معين، لكي يتحدثوا معه، وأخبروه أنه إن لم يحضر، سيواجه نفس مصير عمّك!

صُعِق أمير عندما سمع ذلك، وطلب من أمه أن تهدأ وتتوقف عن البكاء، حتى يستطيع التفكير قليلًا، وظلّ ينتظر والده بلهفة شديدة حتى يعود من الخارج.. وعندما عاد أبو أمير وعلى وجهه علامات الهلع والخوف، كان ملتزمًا الصمت والتفكير العميق، العرق الشديد يملأ رأسه.. وعلامات الخوف واضحة على عينيه. يرتجف وهو يمسك بذلك الكرسي ثم يجلس.

فسألته الأم بتعجبٍ شديد:

- تُرى ماذا يريدون منَّا، ونحن ليس لنا أي علاقة بهم ولا نعرفهم، كما أنك لست مسئولًا عن تصرفات أخيك، فكل شخص حرٌّ بتصرفاته.. لا تقلق يا أبو أمير، فالله معنا ولن يخذلنا.

مازال أبو أمير ملتزمًا الصمت.. نظر أمير إلى والده وسأله:

- هل طلبوا أن يقابلوك حقًّا؟ ومن هؤلاء الأشخاص يا والدي؟ وأين ستقابلهم ومتى؟

فأجابه والده بصوتٍ منخفض بنبرات حزينة:

- يبدو يا أمير أننا وقعنا في يد مجموعة مجهولة، ويبدو أنها عصابة كبيرة كان يتعامل معها عمّك.. وتورطنا نحن بذلك الموضوع، فقد طلبوا حضوري.. ولكن لم يعلموني بأي تفاصيل بعد عن المكان.. فقط أخبروني أن أخلي يوم الغد من أي أعمال مهمة، لأنهم سيتصلون بي غدًا في أي

لحظه.. ويخبروني بالمكان الذي سنتلاقى فيه، وحاولوا طمأنتي أن ذلك المكان سيكون في منطقة عامة، حتى لا يتملكني الخوف..

قاطع أمير والده سريعًا:

- اتصل بالشرطة سريعًا يا والدي وأخبرهم بكل شيء، فنحن لا نستطيع مواجهة تلك المجموعة وحدنا، كما أنهم يطلبون منا أشياءً لا نعرف عنها شيء..

هز أبو أمير رأسه رافضًا تلك الفكرة وهو يقول:

- دعونا لا نستعجل حتى نرى ماذا سيحدث في الغد، فالاستعجال قد يكلفنا الكثير.. وقد نندم على ذلك، وليس لدينا أي فكرة حتى الآن عن هؤلاء الأشخاص، فمن الأفضل لنا أن نصبر ونرى ماذا لديهم على الأقل.. ونتفاهم معهم إن أمكن ذلك، فقد قتلوا عمك الثري الذي يمتلك جيشًا من المعارف هنا، كما أن جميع أصدقائه يعملون في الشرطة والتحريات كما تعلم، فلماذا لم يوفروا له الحماية أو يقبضوا على تلك العصابة حتى الآن!

خافت الأم كثيرًا ووقفت وبدأت تتلعثم بالكلام وهي تقول:

- أبو.. أبو أمير.. هيا.. هيا نرحل.. نرجع.. نهرب.. نحزم أمتعتنا.. أو نسافر حالًا بدون أي شيء.

اقتنع الأب قليلًا برأي زوجته قائلًا:

- حسنًا،ولكن ماذا عن أولادنا الذين لازالوا يدرسون بالمدارس والجامعات ، فقد تضيع عليهم دراستهم في تلك الفترة!

أجابته أم أمير غير مهتمة والخوف يسيطر عليها:

- حتى لو.. سيعوضونها فيها بعد، ولكن حياتنا لن تعوض أبدًا، ولن نراهن على ذلك فلا مجال لدينا للاختيار.

طلب أمير من والديه الانتظار قليلًا والتفكير أكثر قائلًا:

- أنا مع رأي والدي.. يجب علينا ألا نتسرع كما قلت يا والدي ونتريَّث قليلًا، فحتى الآن لازال عدونا مجهولًا.. ولا نعلم عنه أي شيء، كما أنه إن سافرنا وهربنا منهم؛ قد يفسرون هروبنا بأن لدينا شيئًا ما نخفيه عنهم، وقد يصلوا إلينا في أي مكان نذهب إليه، لذا فالحل الأفضل هو أن ننتظر مكالمتهم غدًا، ونرى ماذا يريدون.

فِيلمُ السَّهْرَة

مساء يوم الخميس لم يستطع أبو أمير النوم نهائيًا، فقد سيطر عليه القلق والأرق طوال الليل، لا يعلم ماذا سيحدث بالغد، هل سيذهب إليهم بالفعل إذا طلبوا منه ذلك؟ حتى وإن قرر الذهاب، هل سيذهب وحيدًا أم يخبر رجال الشرطة، أم يسافر ويفرُّ هاربًا سريعًا إلى أي مكان آخر.. أو إلى موطنه الأصلي؟! كل تلك الأسئلة كانت تراود تفكيره أثناء الليل، وبدأت يداه ترتجف وأمعاؤه تتقلب.. يتردد على الحمام كثيرًا ذهابًا وإيابًا، حتى سمع أذان الفجر.. ليقطع حبل تفكيره ويردد خلف الأذان، ويتذكر أن الله موجود معه، وتذكر قولَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم "من صلى الفجر في جماعة؛ فهو في ذمة الله" بالفعل نهض الأب من فراشه واستجمع قواه، وسأل نفسه مستنكرًا "هل هناك أفضل من أن أكون في ذمة الله ورعايته"، ثم ذهب إلى الحمام وتوضأ، وقام بتبديل ملابسه وخرج من المنزل.. ذاهبًا لصلاة الفجر جماعة في المسجد.

بعد أن انتهوا من الصلاة.. عاد أبو أمير للخلف بظهره قليلًا، ليستند على ذلك العمود في المسجد، وينظر للأعلى ويدعو مناجيًا ربه بأن يسهل الأمور ويحميه هو وعائلته، وأن يكون الموضوع مجرد مزاح أو أي شيء آخر.. وأن يتركوه في حاله ويبتعدوا عنه.

بعد ذلك عاد أبو أمير للمنزل.. ليجد نفس الرقم يتصل به مرة أخرى، فبدأت يدا أبو أمير ترتجف قليلًا والخوف يملأ قلبه.. حتى استجمع قواه ورد على الهاتف..

فيخبره ذلك الصوت المجهول:

- مرحبًا.. هل لازلت تتذكرني؟

رد أبو أمير منفعلًا وهو يبكي:

- ماذا تريدون منًّا، لقد عشت حياتي كلها دون مشاكل.. ولم أدخل مركزًا واحدًا للشرطة، أقسم لكم أنني ليس لي أي علاقة بأخي، إذا أردتم الانتقام.. قوموا بتصفية حساباتكم معي فقط، ولا تقحموا أسرتي في تلك الحسابات.

سأل ذلك الشخص ببرود شديد:

- هل انتهيت!

أجابه أبو أمير بخوف:

- نعم.

فيكمل ذلك المجهول بنفس تلك النبرة الباردة:

- حسنًا، الموضوع ليس تصفية حسابات كما تقول، ولا أي شيء من الذي تفكر به، كل ما عليك فعله الآن، هو أن تحضر أنت وابنك أمير إلى السينما الموجودة بمركز التسوق الرئيسي في المدينة، ستحضران الساعة الثامنة ليلًا.. وتحجزان تذكرتين.. واحدة لك والأخرى لأمير.

- السينما! وأمير! وما دخل أمير ابني بالموضوع؟

- لا تسأل كثيرًا.. فقط عليك أن تحضر أنت وأمير.. وستعرفان كل شيء لاحقًا هناك، وبالمناسبة تلك التذكرتين إما أن تكونا تذكرتَين للسعادة.. أو لاقدر الله تذكرتَين للموت.. ثم أنهى المكالمة.

جلس الأب في حيرة كبيرة، لا يعلم لماذا يريدون ابنه أمير معه.. وبعد ساعات سمع أبو أمير أذان الجمعة، فبدل ملابسه واغتسل، ليذهب

الجميع كعادتهم إلى المسجد لصلاة الجمعة، وكانت الخطبة في ذلك اليوم عن الموت.. فسمع أبو أمير الخطيب وهو يقول:

- إن موعد موتك وأجلك مكتوب عند الله تعالى.. فلا أحد يستطيع الهروب من قدره، فيجب علينا جميعًا أن نثق بالله تعالى، وأن نرضى بالقدر خيره وشره، فلا أحد يملك الخيار.. ولا أحد يدري أين سيموت؟ ولا متى سيموت؟ ولا كيف سيموت؟ لأننا جميعًا في هذه الحياة.. لنا أعمارٌ مكتوبة منذ أن خُلقنا أجِنَّةً في بطون أمهاتنا.. وكل شيء سيحدث لنا في هذه الحياة مكتوب عند الله تعالى، فقط كل ما عليك فعله هو أن تثق بالله وتتوكل عليه.

بعد الصلاة عادوا جميعًا إلى البيت لتناول الغداء.. وبينما هم جالسون جميعًا، أخبر أبو أمير زوجته وابنه أمير أنهم قد اتصلوا به وأبلغوه بالمكان، ولكن هذه المرة طلبوا أن يحضر هو وأمير.. وحددوا الوقت الساعة الثامنة ليلًا في المركز التجاري الرئيسي بالمدينة.. وأن يحضر هو وابنه إلى قاعة السينما، حيث سيكونون بانتظارهم بالداخل.

تفاجأ الجميع وعيونهم تتقلب فيما بينهم، فلا أحد يعرف من هؤلاء الأشخاص.. وكيف عرفوا ابنهم أمير، وكيف وصلت بهم الجرأة أن يجتمعوا في مكانٍ عام بين أنظار الجميع! وفي أكبر مول تجاري في المدينة! بل وفي أكثر أيام الأسبوع ازدحامًا! بالفعل هذا أمرٌ لا يصدق!

نظر أمير لوالده وبكل حزمٍ وقوة قال:

- بالطبع سأذهب معك ياً والدي، حتى لو لم يطلبوا ذلك، سأذهب بعد الغداء لغرفتي، سأجهز نفسي ونذهب معًا كما طلبوا..

لم تكن نظرات أم أمير مطمَئِنة.. وحاولت منع ابنها من الذهاب، ولكن لم تستطع أن تقف أمام إصرار ابنها، فلم تجد أفضل من الدعاء لهما أن يحميهما الله.. وأخبرتهما أنهما إن لم يعودا قبل منتصف الليل، ستتصل بهما لتطمئن عليهما.. وفي حالة عدم الرد.. ستخبر الشرطة بكل شيء.

ابتسم الأب ابتسامة هادئة أعادت إليهم روح الطمأنينة ونبض الحياة من جديد.

ثم قال بثقة:

- أعزائي لا تخافوا طالما أنا معكم، ولا تحملوا أي هم نهائيًا، أنا متكفل بحمايتكم من أي أذى.. حتى وإن كانت شوكة بسيطة.. ولن يستطيع أي شخص أن يؤذيكم طالما أنا على وجه الحياه، حتى وإن مت؛ فأخوكم الكبير أمير أصبح الآن أسدًا.. ولم يعد شبلًا صغيرًا.. وأنا متأكد بأنه لن يخيب ظني فيه أبدًا.

ثم نظر إلى ابنه أمير واضعًا يديه على كتفه.. وتابع حديثه:

- لقد كبر أمير.. وما هي إلا أسابيع قليلة ويتخرج، لا أعلم متى سيستلم شهادته، ولكنه حتمًا سيتسلمها في النهاية، ويصبح رجلًا صلبًا، وصيدلانيًا ناجحًا يساعد المحتاجين كما وعدني.

فقاطعته زوجته غاضبة:

- لم نرَ الخير أبدًا من وراء إخوتك.. سواءً في حياتهم أو بعد موتهم، ماذا عساي أن أفعل سوى أن أدعوَ لكما أن يحميكما الله تعالى، ويشملكما برعايته الخاصة.

***

بعد ساعات قليلة.. اقترب ذلك الموعد، ليذهب أبو أمير وابنه للمكان المطلوب.. حتى يصلا إلى ذلك المول الضخم، حيث الشوارع ممتلئة بالناس والسيارات، وأثناء إيقاف سيارتهم في الموقف المخصص للسيارات، وكعادة أي أب يخاف على ابنه.

أمسك أبو أمير بكتف ابنه قائلًا بحرص:

- لا تتحدث أبدًا إلا اذا طلبوا منك ذلك، وإذا حدث أي شيء غير متوقع؛ اهرب من المكان فورًا.. حتى لو من دوني.. هل تسمعني جيدًا؟

ثم أمسك بمفاتيح السيارة وأعطاها لابنه.. ولكنّ أمير رفض الإمساك بالمفاتيح وهو يقول:

- لن أتخلى عنك يا أبي وأهرب مهما حدث.

حاول الأب طمأنة ابنه منفعلًا وقد ملأت الدموع مقلتيه وهو يقول:

- أيها الغبي.. لا تكن أحمقًا.. أنت وإخوتك أغلى ما أملك في حياتي.. لم يعد في العمر بقية، فكما ترى لقد كبرت في السن وتعبت أنا ووالدتك حتى نصنع منك رجلًا كما أنت عليه الآن، وما هي إلا أسابيع قليلة.. حتى تستلم شهادتك وتعيش حياتك، فلن أجازف أبدًا بأن أخسرك، ولن أضحي بك حتى لو كلفني ذلك حياتي.

ثم أمسك بالمفاتيح مرة أخرى يناولها لابنه وهو يقول:

- خذ المفاتيح يا بني، فقط إذا شعرت بأي حركة غدر؛ اهرب أنت أولًا ولا تلتفت وراءك أبدًا.. وأنا سوف ألحق بك بسيارة أجرة.. فلا تخف.

وطلب من ابنه الإمساك بالمفاتيح، وعدم إحراجه أكثر من ذلك، ففعل أمير وأخذ المفاتيح وهو حزين قليلًا.. لا يعلم ماذا يقول لوالده، فتلك

ليست لحظات مناسبة للتشاجر.. فهناك مسألة حياة أو موت تنتظرهما بالداخل، ولا وقت لديهما.

وأثناء سيرهما.. دخل أبو أمير وابنه ذلك المول التجاري الضخم.. التكدس يملأ المكان يمينًا ويسارًا وبالأسفل وبالأعلى.. الناس موجودون في كل مكان.. أصوات كثيرة وصاخبة.. الطقس في الداخل قد تغير تمامًا وأصبح باردًا جدًا.

نظر أمير إلى والده متعجبًا قائلًا بصوت مرتفع بسبب الإزعاج:

- المكان مزدحمٌ جدًا.. أيعقل أن يكونوا هنا!

رد عليه أبو أمير بصوتٍ مرتفع أيضًا:

- لا أعلم من هم هؤلاء الأشخاص، فاليوم هو الجمعة يوم العطلة، والساعة الثامنة مساءً.. إنه أكثر وقتٍ مزدحم في الأسبوع كله.. لماذا اختاروا ذلك الوقت بالتحديد؟ ولماذا اختاروا هذا المكان؟ لا أعلم!

وصل أمير ووالده إلى مكان الاستقبال والحجز بقاعة السينما.. ليذهبا إلى مكان حجز التذاكر، فيجدا أمامهما مجموعة من الشباب.. يريدون حجز التذاكر أيضًا، ولكن الموظف اعتذر لهم، وأخبرهم بانتهاء جميع التذاكر، نظر أبو أمير وابنه لبعضهما البعض باستغراب، وهما يقفان أمام ذلك الموظف.. ليمسك الموظف بصورتين كان يخبئهما في جيبه.. يتأكد من شيءٍ ما..

ثم نادى عليهما الموظف بصوت مرتفع:

- أستاذ أبو أمير؟ انصدم الأب وابنه ونظرا للموظف بدهشة!

ناولهما الموظف التذكرتين وهو يقول:

- تفضلا تذكرتاكما محجوزتَين.. تفضلا بالدخول.

فدخلا من مدخل السينما، ولا يعلمان ماذا سيحدث لهما في الداخل، ووجدا مجموعة من الناس جالسين في قاعة السينما الضخمة بأماكن متفرقة.

رحب بهما رجلٌ من بعيد بصوتٍ عالٍ:

- أبو أمير.. تعال هنا يا صديقي العزيز، وبدأ يضحك ضحكة مريبة..

الناس الموجودون بالمكان لم يتفاعلوا، وكأنهم لا يسمعون شيئًا أبدًا.. يبدو أن كل شيء مرتب بدقة متناهية، فيلمٌ منظمٌ يُعرض أمام فيلمٍ آخرعلى الشاشه أمامهم، فذهب أبو أمير وابنه لذلك الرجل الذي نادى عليهما..

رحب بهما الرجل من جديد وهو يعرفهما بنفسه:

- كيف حالك يا أبو أمير أنت والدكتور أمير، دعني أعرفكما بنفسي.. أنا الدكتور سلطان، مدير شركة لويز للصناعات الدوائية بالشرق الأوسط وآسيا.

اندهش أمير.. فهو يعرف تلك الشركة جيدًا.. فشهرتها تسبق اسمها، ولكن لا يعلم لماذا يفعلون ذلك معهم!

- بدأ سلطان التحدث بجدية:

- لقد كان أخوك طارق عضوًا مهمًا معنا بالمجموعة، وكان مسئولًا ويحمل عضوية لويز الذهبية.. وهو منصب مهم جدًا معنا بالمجموعة، وكنا قد اتفقنا مؤخرًا مع طبيب أمريكي، جئنا به لهذه الدولة بعيدًا عن الرقابة الدولية، وذلك لصنع عقار جديد لنا.. سينقلنا نقلة تاريخية ونوعية، ولكن أخوك طارق للأسف خاننا وذهب إلى ذلك الطبيب.. اتفق معه من ورائنا، وبعد أن أخذ منه طريقة صنع العقار الدوائي، قام بالتخلص منه والهروب، ولكن نحن لسنا أشخاصًا عاديين يا أبو أمير،

نحن كيان.. نحن دولة كبيرة.. لنا قوانيننا الخاصة.. ولا يستطيع أحد اللعب معنا، أبسط مثال كما كنت تفكر منذ قليل.. كيف لنا أن نقوم بتجهيز كل التجهيزات لمقابلتكم.. وسط تلك الحشود الكبيرة في الخارج!

ثم نظر إلى أبو أمير قليلًا و تابع حديثه:

- نحن لا نعترف بوجود كلمة تسمى صُدفة، فكل شيء عندنا محسوب بدقة متناهية، لقد تم حجز هذه القاعة من صاحب هذا المول شخصيًا.. حيث أن صاحب المول صديقٌ لنا.. ولديه عضوية لويز هو أيضًا، وقمنا بتخصيص مجموعة من المقاعد.. على مسافات متباعدة من مكان جلوسنا الآن، بحيث ألا يسمعنا أي أحد منهم من تلك المسافة والفيلم يعرض أمامهم، حتى لو سمعنا أحدهم.. فقد قمنا بتوزيع الأماكن على بعض الموظفين لدينا.. وكل ذلك.. لكي لا يشك أحد بالخارج _من الذين ينتظرون الفيلم التالي_ أن هناك أمرًا مريبًا يحدث بالداخل عند خروجنا من هنا.. ويجب أن تعلم يا أبو أمير أن امتدادنا أوسع من كوننا مجرد شركة أدوية، فهناك عضو في السيناتور الأمريكي، وهناك أعضاء بالمافيا الإيطالية، وهناك مجموعة بالعصابات الروسية، ناهيك عن شخصيات كبيرة تعمل بالشرطة هنا، وأمراء وشيوخ شركاء معنا.. بل ويعملون لحساباتنا الخاصة، ولديهم عضويات هم أيضًا.

ثم نظر لأمير وهو يقول:

- ستسألني لماذا أخبركم بكل ذلك يا دكتور أمير أنت ووالدك.. ببساطة لكي تعرفون حجم من تتعاملون معهم.

حاول أبو أمير مقاطعته قائلًا بذهول:

- ولكن نحن..

قاطعه سلطان أيضًا مكملًا حديثه:

- أعلم ماذا تريد أن تقول يا أبو أمير.. أن ليس لك أي ذنب، وأنك لا تملك الشيء الذي نريده.. تريد أن تخبرني بقصة الصراعات التي بينك وبين أخيك.. أبو أمير، لا داعي لكل ذلك، فما يهمني أن تقوم أنت والدكتور أمير بالبحث في بيت طارق.. في أغراضه الشخصية.. في كل شيء يتعلق بطارق.. فقد أخبَرَنا ابنه سعيد _رحمه الله_ الذي فرَّ هاربًا منَّا، أنه ترك لكما جميع المستندات التي نريدها.. وذلك قبل موته بألمانيا.

سأله أبو أمير مصدومًا:

- قتلتم سعيد أيضًا؟!

فأجابه سلطان ببرودٍ شديد:

- أبو أمير! كما قلت لك، نحن دولة كبيرة، ولدينا قوانين يجب علينا احترامها.. فقانوننا أن حكم الخائن لدينا هو القتل، حتى لو عاد إلينا تائبًا، يجب أن يختفي من هذه الدنيا، وفي حالة تعاطف أحدنا معه وعدم تطبيق القانون، يكون الحكم عليه بالقتل من الشخص الذي يعلوه منصبًا، نحن لا نعمل في الخفاء يا أبو أمير.. فكما ترى، حتى المكان الذي قررنا الاجتماع فيه معك، هو الأكثر ازدحامًا في المدينة، نحن نقوم بكافة أعمالنا أمام الجميع وفي العلن بأساليبنا الخاصة، ولدينا قانون لويز الذي يعلو قانون أي دولة في العالم.

بينما يتابع سلطان كلامه؛ كان أبو أمير يحدِّق بشدة واستغراب في تلك الشخصية التي لا يمكن أن تكون شخصية عادية مثلهم..

ثم تابع سلطان:

- لقد سمعنا من مصادرنا الخاصة عن نيتكم بفتح مشروعكم الخاص، وهو تلك الصيدلية.. وقد تقدمت بتوصية خاصة.. بتخصيص مساحة لكم في هذا المول التجاري المزدحم كما ترون، وليس مطلوبٌ منكم أي شيء تجاه تكاليف المكان.. فقد دُفعت كلها مقدمًا لمدة عامين.

نظر سلطان إلى أبو أمير بنظراتٍ حادة قائلًا بصوتٍ هادئ:

- كل ما نريده فقط هو تلك المستندات الخاصة بعقَار جديد يسمى "ليبروسكاي - **Librosky**" نريدكما أن تحضرا أي شيء يتعلق بتلك الكلمة.

ثم مد يده وأعطى أمير ورقة مكتوب عليها اسم ذلك العقار.. وتابع سلطان حديثه من جديد وهو ينظر إلى أمير قائلًا:

- أعدك يا أمير بمنصب رفيع في أي مكان، فلا يهم إن كنت من بلدٍ آخر ولست من أبناء هذا البلد، أهم شيء هو أنكما إذا جئتما بتلك المستندات، ستكافئكما الإدارة العليا بالشركة.. بالمناسبة أيضًا، لقد أمهلتكما الإدارة العليا بالخارج ٤٨ ساعة.. ولكن بعد البحث والتحري عنكما، أمهلتكما الإدارة عشرة أيام كاملة.. أي ٢٤٠ ساعة لتفكرا جيدًا وتبحثا في كل مكان.. مازال لديكما الوقت الكافي، لكنه ليس بالكثير.. وصدقاني.. إما أن تكون تلك التذاكر التي بيديكما تذاكر المستقبل.. أو تذاكر الموت.

أمسك سلطان بساعته قائلًا بثقة:

- حسنًا.. كما خططت تمامًا.. باقي نصف ساعة على نهاية الفيلم، هل لديكما أي أسئلة؟ لقد أنهيت المطلوب مني الآن.

قام أبو أمير بسؤاله:

- حينما نجد المستندات المطلوبة.. كيف سنقوم بإخبارك والتواصل معك؟

أجابه سلطان بثقة كبيرة:

- رقمي موجود عندك في هاتفك، كما أنك لن تجد أي صعوبة في الوصول إلينا، فنحن حولك في كل مكان، أما الآن وقد انتهينا، أريد أن أحذركما أن هناك قانونًا آخر.. وهو عدم إفشاء أي سر للخارج، فأنتما الآن أصبحتما تعرفان الكثير، فلو عَلِم أحدٌ بأي شيء من الذي دار بيننا الآن.. ستكون حياتكما أنتما والذين علموا بالموضوع قد انتهت.

حاول أبو أمير أن يتكلم:

- ولكن هل بإمكاني..

قاطعه سلطان وكأنه يقرأ ما في عينيه قائلًا:

- حسناً يا أبو أمير، سنسمح لها هي فقط بأن تعرف.. ولكن لا أحد غيركم أنتم الثلاثة.. حتى الأطفال الصغار.

تعجَّب أبو أمير وسأله بدهشه:

- هل أنت ساحر! كيف علمت أنني سأسألك إن كان بإمكاني إخبار زوجتي أم لا؟

ضحك سلطان بصوتٍ عالٍ ووضع يده على كتف أمير وهو يقول:

- هيا بنا نخرج.. فقد انتهى الفيلم، وسيأتي الموظف الآن لإخراجنا.. وإذا سألك إخوتك في البيت عما حدث، أخبرهم أنه مقلب أعدَّه لك صديق والدك.. لتحضرا معه ذلك الفيلم، لأنه لم يرَكما منذ فترة طويلة.

سمعوا صوت فتح الباب القاعة، ليجدوا ذلك الموظف ممسكًا بالكشاف وهو يقول:

- حسنًا.. لقد انتهى الفيلم.. يمكنكم الآن الخروج..

نظر أمير لوالده بعيون حائرة قائلًا:

- يا إلهي.. ما هذا، لا يمكن أن يكون ما حدث مجرد صدفة، لقد حضرنا بالفعل فيلمًا غريبًا!

ثم تحركا للمغادرة، وأثناء وصولهما عند الباب، نظرا إلى سلطان نظرة أخيرة.. ليجداه مبتسمًا ويحرك رأسه كأنه يحييهما ويطلب منهما الرحيل.

***

عاد أمير ووالده إلى البيت.. ليفتحا الباب ويجدا الجميع بالداخل ينتظرون بشوقٍ ولهفة عودتهما من ذلك المكان، واحتضنوا والدهم وأمير جميعًا بمشاعر أسرية دافئة، نظر أمير لوالده وهو يلمّح له ألا يخبر أحدًا.

ويدأ يضحك بشدة وهو يقول:

- في حياتي كلها لم أرَ أقوى من ذلك المقلب يا والدي، أمَعقولٌ أن يفعل صديقك هذا المقلب بنا.. فقط لأنه اشتاق لرؤيتك ولم يرَك منذ فترة طويلة، ولكن ما رأيك عندما صفعته وضربته، حتى لا يكرر ذلك مجددًا.

فسأل الجميع بأصوات متفرقة:

- من هذا يا والدي الذي يقوم بتلك اللعبة السخيفة معكما؟

بنبرةٍ عالية صاح الأخ الصغير:

- اهاآآ.. لهذا كان يعرف أمير.. وطلب منه هو أيضًا الحضور، كما طلب منكما الحضور لقاعة السينما، حتى تستمتعوا بوقتكم بمشاهدة الفيلم.. الآن فهمت.. لو كنت معكما للقنته درسًا كبيرًا.

وبدأ الجميع يضحكون.. وعادوا ليكملوا يومهم العادي.. بعد أن احتضنوا والدهم مرة أخرى، ثم غادروا جميعًا.. ولم يبقَ في الغرفة سوى أمير ووالده ووالدته.

ظلَّ أبو أمير صامتًا، بينما أمير مصدومًا مما حدث ولم يتحمل عقله ما سمع.. بل ولم يستوعبه، ليجلس على الكرسي ويبدأ جسمه في الارتجاف بقوة.. واغرورقت عيناه الواسعة من شدة الصدمة ودخل في فترة صمتٍ طويلة.. وبدأ بسلسلة من الصراعات الذهنية من جديد.. تتمحور حول تخرجه الذي لم يبقَ عليه إلا القليل، وحبيبته التي لطالما يحلم باليوم الذي سيتقدم لطلب يدها، وتكون شريكته في هذه الحياة، ومشروع الصيدلية الذي كان يخطط له.. وإخوته الصغار الذين لازالوا يدرسون في مدارسهم، وأخوه الأصغر منه سنًا، الذي كان في السنة الثالثة في الجامعة هو أيضًا، وصديقه العزيز علي، الذي لا يملك أعز منه في هذه الدنيا، كل تلك الأفكار راودت أمير خلال دقائق معدودة.. لتشكل تلك الأفكار حبلًا سميكًا يلتف على رقبة أمير حتى كاد أن يختنق.

نظرت الأم إليهما متعجبة وهي تقول:

- ماذا بكما، أظن أن الموضوع مختلف عما قلتماه منذ قليل.. وما حدث بالطبع لم يكن مقلبًا.. هيا تحدثا!

لوّح أبو أمير بيده لابنه وهو يقول:

- تحدث أنت يا أمير وأخبر والدتك بما حدث، فأنا مُتعَبٌ جدًا.

بدأ أمير يحكي كل ما جرى معهما هناك، لتتفاجأ الأم وتصدم من كل ما سمعته، فينبهها أبو أمير ألّا تصدر صوتًا مرتفعًا، لأن كل ما جرى سريٌّ جدًا.. وفي حالة إفشائهم لهذا السر؛ سيقومون بالتخلص منهم جميعًا..

سألتهما أم أمير متعجبة:

- إذا كان هذا الموضوع سرًا كما ذكرتما، فلماذا قمتما بإبلاغي إذن!

فرد أمير سريعًا:

- لا تقلقي يا أمي.. فقد أبلغونا أننا مسموح لنا بإخبارك أنتِ فقط، ولكن يجب أن تحذري أنتِ أيضًا ولا تخبري أحدًا.

***

في المساء رنَّ هاتف أمير، ليمسك هاتفه ويرى من الذي يتصل..

سأله والده خائفًا:

- من يتصل بك يا أمير؟

- إنه الدكتور سالم يا أبي، لابد أنه يريد أن يتناقش معنا بالمحل الذي رأيناه مؤخرًا، فقد طلبت منه أنت يا أبي أن نأخذ وقتًا بالتفكير جيدًا، هل أرد عليه؟

نظر أبو أمير لابنه والتزم الصمت.. فسألت أم أمير متعجبة:

- كيف لنا أن نستمر معه ونحن في هذا الوضع.. ولا نعلم مصيرنا حتى الآن!

سكت الجميع حتى انقطع رنين الهاتف، وعمّ الهدوء أركان الغرفة.

نظر أمير إلى عيون والديه في حيرة كبيرة وهو يسأل نفسه.. "ماذا سيحل بنا إن لم نجد تلك المستندات التي يريدونها.. وماذا عن ذلك العقار الغريب!"

أخرج أمير من جيبه تلك الورقة التي أعطاها له سلطان وسأل نفسه من جديد في شرود.. "لم أسمع بذلك الاسم من قبل ولم أدرسه بالجامعة، حتى المستشفى التي تدربت بها، حيث ألقيت نظرة على جميع الأدوية

فيها.. سواء الأدوية القيمة كأدوية السرطان وحتى أرخصها.. ولم أسمع بهذا العقار الدوائي مطلقًا!".. ولكنه تذكَّر أن سلطان قد أخبرهما أن هذا العقار كان يعمل به طبيب مختص، وأن عمَّه سرق تركيبة الدواء.. يبدو أن هذا العقار جديد، ولم يتم تجربته حتى الآن.. أو أنه قد تم تجربته على بعض الأشخاص على أضيق الحدود، وله تأثير مميز وفريد.. ثم عاد يحدث نفسه من جديد.. "ولكن إن كانوا قد جربوه بالفعل، لمَ يطلبون منا أن نحضر لهم تلك المستندات الخاصة بتركيبة هذا العقار؟ وأين سنجد تلك المستندات؟".. أفاق أمير من شروده، ثم قرر الخروج من المنزل والذهاب إلى صديقه علي، حتى يخرج من تلك الأجواء الكئيبة والحزينة.

***

خرج أمير من المنزل.. وأثناء الطريق كعادته اتصل بريم ليطمئن عليها ويتحاور معها قليلًا..

فسألها أمير:

- ماذا ستفعلين يا ريم إن اختفيت في يوم من الأيام عن أنظارك، ولم تعرفي مكاني أو حتى سبب اختفائي؟

ردت ريم مندفعة:

- هل أنت مجنون؟ أم تحاول اختباري؟ لن أسمح لهذا أن يحدث، حتى لو كلفني الأمر حياتي أنا أيضًا.. فأنت لي كالشمس، إن اختفى الضوء منك يومًا.. لن يضيء القمر وسيختفي هو أيضًا، فأنت لا تعلم ماذا من الممكن أن يحدث إن لم تتصل بي في يومٍ من الأيام، قد أُصاب بالاكتئاب وأمرض.. هل تريدني أن أمرض وأموت يا أمير؟

أجاب أمير سريعًا:

- بالطبع لا يا حبيبتي.. لا أعلم لماذا دار هذا السؤال في ذهني، ولكن أريد أن أخبركِ شيئًا، إن اختفيت في يوم من الأيام.. فاعلمي أنني بالفعل قد مِتّ، فلا مبرر لاختفائي عنكِ سوى الموت.

بعد انتهاء المكالمة؛ وصل أمير لصديقه وهو في حيرة، هل يخبره بما حدث؟ أم يبقيه سرًا؟ وفورًا تذكر أنه لا يستطيع إخبار أحد، فالتزم الصمت.. وقرر التنزه مع صديقه في أحياء المدينة، يتجولان من مكانٍ إلى آخر، حتى وصلا إلى المقهى المفضل لهما بالمدينة، ليتناولا مشروبهما المتواضع والمفضل.. وأثناء حديثهما ورسم مستقبلهما وخططهما بعد التخرج، لم يستطع أمير تحمل ذلك الصراع الدائر في عقله.. وقرر الاستئذان للرجوع إلى البيت، مبررًا ذلك بتعبه قليلًا، استغرب علي من تصرف صديقه أمير، فلم يعتَد منه ذلك..

فسأله علي متعجبًا..

- ماذا بك يا صديقي.. صارحني يا أمير هل أنت على ما يرام .. أم هناك شيءٌ ما؟

فأجابه أمير بنبرات حزينة:

- لا تقلق يا صديقي.. يبدو أنني مرهق قليلًا لأنني استيقظت مبكرًا اليوم.

ودعه أمير، ثم عاد إلى منزله ليجد الجميع نيام، فذهب هو أيضًا إلى سريره وأخلد إلى النوم.

٤٨ ساعة

في اليوم التالي، يوم السبت.. وهو يوم عطلة.. ذهب أمير ووالده إلى منزل طارق الذي لا يسكنه أحد، ليجدا كل أثاث المنزل مدمر، فالكراسي محطمة هنا وهناك، مبعثرة بشكل عشوائي في كل مكان.. كل شيء مقلوبٌ على رأسه في البيت.. وكأنّ أحدًا قد سبقهم ساحقًا أثاث المنزل من البحث.. حاولا هما أيضًا البحث عن أي ورقة، أو أي مستند قد يفيدهم ويوصلهم لشيء.. لكن بلا فائدة، فقد أمضا النهار كاملًا بالبحث واستمرا حتى منتصف الليل.

تأخر الوقت بهما كثيرًا وهما يبحثان، وفي المقابل.. لم يعد هناك وقت أيضًا.. فقد أمهلهم هؤلاء الأشخاص مدة عشرة أيام، ولكن الوقت يمضي سريعًا، ليعودا بعد ذلك إلى البيت خائبَين.

***

مرَّ الأسبوع سريعًا، ولا فائدة من البحث.. فاليوم هو الجمعة ولكن السماء ممتلئة بالغيوم.. وأصوات الرعد تملأ المكان خوفًا.. حتى قرر أبو أمير الاجتماع بـأمير ووالدته، فلا يوجد أحد آخر غيرهم في المجلس في ذلك الوقت، فبقية الأبناء في الغرفة المقابلة يستمتعون بطفولتهم ويلعبون.. غير مكترثين لما يحدث في الخارج، جلس الثلاثة يتشاورون قليلًا فيما بينهم.. وذلك بعد أن بحثوا ثُلاثتهم في كل مكان، ولكن دون جدوى.. فلا أثر أبدًا لتلك المستندات.. بدأت الأم تعرض عليهما مرة أخرى فكرة السفر والهروب من هذا المكان..

فيقاطعها أمير:

- هل نسيتِ ما قاله لنا ذلك الشخص يا أمي؟ لقد هرب ابن عمي سعيد بعيدًا.. ولكنّ هؤلاء الأشخاص وجدوه بألمانيا.. وتخلصوا منه هناك، قلت لكم أنَّ أسلم حل لنا هو أن نبلغ رجال الشرطة ونطلب حمايتهم.. فلا أحد يستطيع أن يقف أمام القانون.. مهما كانت سلطته.

فكر أمير قليلًا.. ثم تراجع عن كلامه متخاذلًا وهو يقول:

- ولكن أيضًا كما قال أبي.. فعمي طارق كانت معارفه كثيرة في الشرطة.. بل إنَّ جميعهم أصدقاؤه ولم يستطيعوا إنقاذ حياته.. أو حتى أن يمسكوا بهؤلاء الجناة إلى الآن، لا أعلم ماذا نفعل.. نحن بموقف لا نحسد عليه، لقد فعلنا كل ما بوسعنا.. ولكن لا أعلم ماذا يمكننا أن نفعل أكثر من ذلك! أعتقد أن الحل الوحيد أمامنا الآن.. أن نبلغ رجال الشرطة بتلك المجموعة.. وذلك بعد أن بحثنا في كل ثقب في منزل عمي ولم نجد أي شيء.. حتى لو أنهم لم يقفوا بجانبنا.. على الأقل لا نملك أي حل آخر.

ظلَّ الأب يفكر قليلًا بكلامهما، فيبدو أن كلام أمير مقنعٌ قليلًا.. تنقطع الكهرباء من المنزل بسبب العواصف الشديدة بالخارج.. وتلك الأصوات المخيفة بالخارج.. وأصوات الرعد المرعبة التي هزت الأرجاء.. وفجأة رنَّ هاتف أبو أمير من رقم غريب..

فتح أبو أمير الخط وهو يستمع.. ثم أجاب:

- نعم أنا هو، من معي؟

فيرد عليه ذلك الشخص بصوت غليظ ومخيف:

- معك فيصل.. مسئول قسم التحريات في مركز المدينة القريب منكم، لديك استدعاء في صباح الغد في مركز الشرطة الرئيسي في تلك المدينة، لذا نرجو منك التكرم بالحضور.. وعندما تحضر أخبرهم في الاستقبال..

أن لديك استجواب في مكتب الضابط فيصل، وهم سيقومون بإيصالك إلى مكتبي.. ثم أغلق الخط.

- نظر أبو أمير إلى هاتفه عاجزًا عن تفسير ما سمع، وبدأ بسرد ما جرى معه لزوجته وابنه أمير، فجأة نهض أمير من الكرسي.. وبدأ بجمع جميع الهواتف بالمنزل.. وأخفاهم في غرفة نومه.. ثم عاد مرة أخرى من جديد..

فسألته الأم غاضبة:

- ماذا بك يا أمير.. هل جننت!

أجاب أمير بصوتٍ خافت:

- يبدو أن الشرطة تراقبنا أيضًا.. ولكن عن طريق هواتفنا.

قاطعته الأم سريعًا بنظرات لامعة:

- لابد أنهم يريدون القبض على تلك المجموعة.. ويدبرون خطة سرية أو ما شابه، وعندما علموا أننا نفكر بالسفر.. أو أن هناك احتمال بالسفر، قرروا الاتصال بنا بالتأكيد.. ليخبرونا عن خطتهم بالقبض عليهم.. وألا نغادر ونستمر معهم حتى نستدرجهم، وتقوم الشرطة في النهاية بالإيقاع بهم.. والقبض عليهم جميعًا.

اقتنع الأب بذلك التفسير، وبدأت علامات الارتياح تظهر عليه كثيرًا.. ليقرر الذهاب في صباح الغد، وإخبار أسرته بكل ما سيحصل عندما يعود إليهم من جديد.

***

في صباح اليوم التالي، يوم السبت.. باقي من المُهلة ٧٢ ساعة.. استيقظ أبو أمير، وبالفعل ذهب ليبدل ملابسه، ثم أخذ مفاتيح السيارة وخرج من المنزل، بعد ذلك قاد سيارته متجهًا إلى تلك المدينة التي تجاورهم، وأثناء

الطريق ظل أبو أمير يفكر محدثًا نفسه "تُرى ماذا يريدون مني، وهل بالفعل كما توقع أمير أن الهواتف مراقبة! لماذا يحدث كل هذا لي.. لقد أمضيت ٣٠ عامًا في هذه الدولة.. ولم أدخل مركزًا للشرطة أبدًا.. والآن ماذا! سوف أدخل لمسئول قسم التحريات بمركز الشرطة شخصيًا"..

وعندما وصل أبو أمير لمركز الشرطة، أوقف سيارته بالمواقف الخاصة، ليطرأ على باله سؤالٌ غريب جدًا "لماذا أنا متأكد أني مطلوب في ذلك المركز بسبب ذلك الموضوع، ماذا لو كان شيئًا آخر؟ ماذا لو احتجزوني بالداخل؟ يجب أن أرسل رسالة إلى أم أمير الآن، لكي تتفهم الوضع إذا غبت عنهم"..

أمسك أبو أمير بهاتفه سريعًا.. وبدأ بكتابة رسالة إلى زوجته.. "لقد وصلت الآن إلى ذلك المركز، إذا لم أعد اليوم إلى المنزل؛ عليكِ أن تعلمي أنني محتجزٌ هناك، وعليكِ أن تطمئني الأولاد كي لا يقلقوا، أخبريهم أنني قد سافرت إلى مدينة أخرى في رحلة عمل، وربما أبيت هناك في أحد الفنادق"، ثم أرسل الرسالة.. وترك هاتفه بالسيارة واطمأن، ثم ترجَّل من السيارة، وتوجه إلى داخل ذلك المركز..

***

دخل أبو أمير لمركز الشرطة، ونفَّذ ما طلبه منه الضابط.. فذهب إلى مكتب الاستقبال، واستقبله أحد موظفي الاستقبال.. المقاعد ممتلئة بالناس الذين يغلب عليهم السكون، فبالرغم من ذلك الزحام؛ إلا أن الهدوء يعم المكان.. كأنّ على رؤوسهم الطير، ليسأله الموظف عن سبب قدومه، فأجابه أبو أمير.. أنه مطلوب في مكتب الضابط فيصل، ففهم الموظف في الحال، وقام بتوجيهه إلى ذلك المكان قائلًا:

- اسلك هذا المسار حتى النهاية، ثم انعطف إلى اليسار.. ستجد بابًا زجاجيًا مغلقًا، قم بقرع الباب الزجاجي، حتى يفتح لك أحدهم من الداخل.

شكره أبو أمير، وقام بعمل ما قاله له موظف الاستقبال، فذهب حتى نهاية المسار، ثم التفت إلى اليسار.. ليقف أمام ذلك الباب الزجاجي، حتى جاء شخصٌ يلبس ملابس مدنية، يبدو أنه شخصٌ كان مطلوبًا هو أيضًا وسيرحل الآن، ولكنه عندما وصل إليه من خلف الباب الزجاجي.. لوَّح له بيده ماذا تريد، فالصوت لا يُسمع من وراء ذلك الزجاج، فأشار له أبو أمير بيده أنه مطلوب في الداخل، فأخرج ذلك الرجل بطاقة إلكترونية وفتح الباب..

ثم سأله بغضب:

- من أنت؟ ومن سمح لك بأن تأتي إلى هنا؟ ألا تعلم أين تقف؟

أجابه أبو أمير مرتبكًا:

- تلقيت مكالمة بالأمس من رئيس قسم التحريات الضابط فيصل، اتصل بي وأخبرني بأنني مطلوب استجوابي هنا..

فورًا فهم ذلك الشخص وقال له:

- تفضل معي..

ثم أغلق الباب الزجاجي الذي يعزل المكان الداخلي عن العالم الخارجي تمامًا، فالأصوات بالداخل لم تكن مسموعة بالخارج، ثم أدخله إلى غرفة من الغرف وهو يقول:

- انتظر هنا حتى يأتي إليكَ فيصل..

انتظر أبو أمير كثيرًا.. حتى أتى شخصٌ ضخمٌ يملأ وجهه علامات الغضب، يتكلم بالهاتف:

- نعم سيدي، حاضر سيدي، حاضر سيدي، عُلم وينفذ.. ثم أغلق الهاتف وهو ينفخ باستياء.. وجلس ووضع الهاتف فوق المكتب.

ثم نظر إلى أبو أمير وسأله بينما يقوم بإخراج بعض الأوراق غير مكترث:

- ما هو اسمك؟

فأجابه أبو أمير بخوفٍ شديد:

- عبدالله أحمد يا سيدي.

نظر إليه الضابط وردَّ بكل هدوء:

- أنا أُدعى فيصل، هل تعلم سبب قدومك إلى هنا يا سيد عبدالله؟

فأجاب أبو أمير وما زالت علامات الخوف تسيطر على وجهه:

- بالطبع لا أعلم يا سيدي..

في تلك الأثناء دخل رجلٌ آخر وسيم.. يلبس ثوبه الخليجي ناصع البياض.. ورائحة البخور الجميلة تنبعث منه، وأغلق الباب بهدوء شديد.. جلس بالمقعد المجاور لزميله وهو يقول:

- حسنًا يا فيصل.. اسمح لي أن أكمل أنا.

سريعًا قام فيصل من مكانه.. ويخشِّمه بالأنف طريقة التحية في الخليج بتحريك مقدمة الأنف فوق مقدمة أنف الشخص الآخر..

فرد فيصل:

- ألن تتركني أعمل وحدي أبدًا يا رجل، حسنًا يا راشد، تفضل بينما أتناول أنا قهوتي.

نظر راشد إلى أبو أمير بابتسامة كبيرة وهو يقول:

- انظر يا أبو أمير.. يبدو من ملامحك أنك إنسانٌ طيب وستتعاون معنا.. فأنت تعلمَ أن هذه الحياة مليئة بالناس الطيبين.. كما أنها مليئة أيضًا بالأشرار، أخوك طارق كان إنسانًا طيبًا.. وللأسف قُتل غدرًا من عصابة مجهولة.. أنا وفيصل نريد أن نتوصل إلى الجاني..

قاطعه فيصل بغضب وقسوة وعينيه تخاطب أبو أمير:

- أبو أمير! لماذا قتلت طارق، هل من أجل تلك السيارة تقتله! صدقني إذا اعترفت من نفسك.. سنخفف عنك العقوبة.. ولن تصل للإعدام..

صُدِم أبو أمير وخانته دموعه.. وبدأت تتساقط في صدمة قوية جدًا.. وبدأت الدنيا تدور من حول أبو أمير.. حتى وقع فجأة من على الكرسي أرضًا، فقام الشرطيان في الحال بإفاقته.. وقام الضابط راشد برش رذاذ من الماء فوق وجهه.. إلى أن استيقظ من جديد..

طلب الضابط راشد منه الجلوس والاسترخاء قليلًا.. ثم طلب من العامل أن يأتي بكوب ماء، وأعطاه لأبو أمير كي يشرب ويستعيد وعيه من جديد..

نظر الضابط راشد إلى زميله فيصل قائلًا ببرودٍ شديد:

- إلى متى سأظل أخبرك أن تكون لينًا قليلًا في معاملة ضيوفنا.. ألم تكتفِ بذلك العجوز الذي مات هنا الأسبوع الماضي؟

رد الضابط فيصل ساخرًا:

- كم مرة علي أن أخبرك أنه مات لأنه مريض بالقلب.. ثم ماذا تريد مني أن أفعل.. أحضر لهم الحلوى ونتشارك القهوة معهم مثلًا!

نظر الضابط راشد إلى أبو أمير، وبدأ باستكمال الاستجواب من جديد بنفس نبرة البرود قائلًا:

- حسنًا يا سيد عبدالله.. أين كنت في الوقت الذي قُتل طارق فيه؟

فأجابهما أبو أمير بهلعٍ شديد:

- الموضوع ليس كما تتوقعان، فالموضوع أكبر من ذلك بكثير.

التفت راشد لزميله مبتسمًا وهو يقول:

- انظر يا فيصل! مازال يصدق أننا لا نعلم شيئًا!

وظلا يضحكان كلاهما لفترة من الزمن.. بعد لحظات تكلم فيصل قائلًا:

- انظر يا أبو أمير.. أنا و راشد ضابطان في أمن الدولة، ولكن نعمل لحساباتنا الشخصية في منظمة تدعى لويز، سمعنا ما كنتم تقولونه بالأمس أنت وزوجتك وأمير ابنكم، أنصحك بألا تفكر بأي شيء سوى أن تجد تلك المستندات فقط.. وإلا صدقني، ستمضي بقيمة حياتك بالسجن.. أو تُعدَم بتهمة قتل أخيك.. وها هي الأوراق أمامي.. من فضلك قم بالتوقيع عليها الآن.

عارضه أبو أمير محاولًا الرفض قائلًا:

- ولكنكم تعلمون أن هذا تلفيق للتهم، فأنا لم أفعل ذلك!

- قام فيصل من مكانه غاضبًا متجهًا إلى أبو أمير.. بينما يشرب راشد قهوته مخاطبًا فيصل ببرود:

- أرجو ألا توقعنا بمشاكل كالعادة، نفذ ما طلبوه منا دون مشاكل.. الأوامر هي الأوامر.. لا أريد أن أتناول مسكنات اليوم بسببك.

ليمسك فيصل رأس أبو أمير ويضعها بقوة على الطاولة.. ويهدده قائلًا:

- نحن لا نأخذ رأيك أيها الأحمق، أنت هنا لتنفذ ما نقوله لك دون أي كلمة.

أمسك أبو أمير بالقلم سريعًا مرتجف اليدين.. وقام بالتوقيع على كل شيء وهو يقول:

- حسنًا حسنًا يا سيدي، سأنفذ كل ما تأمراني به.

فهو يعلم أنه مهما رفض أو عارض؛ لن يتركاه وشأنه حتى يوقع على تلك الأوراق في النهاية..

عاد مرة أخرى فيصل وجلس في مكانه قائلًا:

- أحسنت أحسنت.. بدأت تعجبني الآن يا عبدالله..

أمسك راشد بالقلم من أمامه يلعب به بين أصابعه.. محاولًا التصفير بألحان إحدى الأغاني لفترة.. ثم نظر إلى أبو أمير قائلًا بهدوءٍ شديد:

-انظر يا أبو أمير إلى تلك المكتبة هناك.. مكتبة مليئة بالمستندات والأوراق التي تكاد تصل إلى السقف.. من بين تلك المستندات أناس مطلوبون.. وهم بالأساس ليس لهم أي ذنب.. بل ولم يرتكبوا أي جريمة حتى.. ونحن نعلم ذلك أكثر منهم.. ولكن عندما تأتي الأوامر من الأعلى، لا يمكننا أن نجادل أو نفكر حتى.. كيف أو لماذا! فقط نقوم بعملنا.. حتى لو كان ذلك الشخص من أسرتي.. فقانونهم ليس له قلب، وأنت الآن وقّعت على ورق بإقرارك قتل أخيك عمدًا، وبقي من الوقت أمامك ٤٨ ساعة، بالإضافة إلى بقية هذا اليوم لتحضر تلك المستندات.. حينها سنمزق تلك الأوراق.. وكأن شيئًا لم يكن.. ونعود أصدقاء من جديد ونتناول القهوة معًا..

نظر راشد إلى فيصل متعجبًا قائلًا:

- ألم تقم بواجب الضيافة يا فيصل؟ الرجل جاء إلينا سفرًا.. وسيقطع خطًا طويلًا الآن للعودة إلى أسرته.. ولكن أرجو أن يحافظ على حياتهم كما وعدنا منذ قليل!

ثم أخرج راشد طبقًا خاصًا من التمر الفاخر من مكتبه.. وأشار بيده إلى أبو أمير كي يتناول.. رفض أبو أمير بأدب والخوف يسيطر على وجهه..

فابتسم راشد وتناول تمرة قائلًا ببرود:

- لا تخف فنحن لا نسمّم ضيوفنا.. بل يجب علينا حمايتك حتى تأتي بما طلبناه منك.. هيا تناول ولا تخف حتى لا يغضب فيصل.

قام أبو أمير بتناول تمرة مرتعش اليدين.. ثم قال بخوف:

- حسنًا، ولكني فتشت منزل أخي طارق كثيرًا.. ولم أجد فيه تلك المستندات، أين أفتش أكثر من ذلك!

رد الضابط فيصل بغضب:

- لقد انتهينا معك يا سيد عبدالله، إذا رغبت بالرحيل الآن يمكنك ذلك.

فشكره أبو أمير وقام بالخروج من الغرفة.

***

بعد أن خرج أبو أمير من الغرفة.. فتحوا له الباب بالبطاقة الإلكترونية مجددًا.. وأغلقوا مرة أخرى ذلك العالم الخفي والمنعزل تمامًا عن العالم الخارجي.. ليجد أبو أمير نفسه قد عاد إلى عالم الدنيا مرة أخرى.. بعد أن تم أخذه وعزله في عالم آخر لا يعلمه أحد، فحتى الهواء بالخارج رائحته تختلف تمامًا عن ذلك المكان بالداخل، فجميع من بالخارج لديهم مشاكل أخرى بسيطة.. ولكن لم يدخل أحد إلى ذلك المكان المنعزل تمامًا مثلما دخل هو، بدأ أبو أمير يلتقط أنفاسه من جديد.. ثم أكمل سيره إلى

الشارع متجهًا إلى سيارته.. حتى جلس قليلًا يفكر ويخاطب نفسه..
"ماذا يحدث؟ هل أنا مستيقظ أم أحلم؟ ماذا فعلت ليحدث كل ذلك؟".. فأمسك بهاتفه ليجد ٣٤ مكالمة فائتة.. فتح هاتفه بسرعة ليرى اسم المتصل.. وهو يعلم بالتأكيد أنهم عائلته، وبالفعل وجدها أم أمير، اتصل بها بسرعة ليطمئنها، وعندما سمعت أم أمير رنة هاتفها.. كأنها تسمع تلك الرنة للمرة الأولى.. حيث كانت الوحيدة في البيت مستيقظة.. بينما أمير كان مازال نائمًا.. لتترك كل ما بيدها، وتذهب فورًا لتجيب على الهاتف، وهي متأكدة أنه زوجها أبو أمير..
فتحت أم أمير المكالمة ويدها ترتجف بقوة.. وقلبها يخفق بسرعة:
- وعليكم السلام.. أبشرني سريعًا هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟ لماذا لم ترد علي؟ أين أنت الآن؟ بسرعة أجبني؟
لم يكن أبو أمير يود أن يخبر زوجته بكل ما حدث، فقد تذكر وهو بالداخل أن هاذان الضابطان يتنصتان عليه في الهاتف.
رد عليها أبو أمير:
- أنا بخير.. ولكني مُتَّهم بجريمة قتل أخي طارق.
صدمت زوجته.. ولكن ردة فعلها كانت غير متوقعة.. فكانت هي من تُهدئ زوجها.. فكانت تشعر بأن هناك شيءٌ ما.. وكان القلق يراودها منذ الصباح.. فلماذا مركز الشرطة بالمدينة المجاورة هم من طلبوه.. وليس مركز الشرطة في مدينتهم! تابع زوجها الحديث ليطمئنها.. فهو يعلم أن قلب زوجته ضعيف.. وقد لا تتحمل تالك الصدمة..
ثم قال لها:

- طلبت الشرطة مني هناك أن أقدم أدلة قوية.. لتساعدهم في التوصل للقاتل الحقيقي.. وأمهلوني مدة ٤٨ ساعة..

فرحت الزوجة قليلًا قائلةً منفعلة وبصوتٍ مبحوح:

- لا تخف يا أبو أمير.. سوف أقوم بالبحث وتجهيز كل ما يثبت ذلك.. حتى تعود لنا بالسلامة..

بدأت أم أمير بالتفكير قليلًا.. ما الذي يمكن أن يثبت أن أبو أمير لم يقتل أخاه؟ تذكرت الحوار الذي دار بينها وبين ابنها أمير في المطبخ.. عندما كانا يتناقشا بمقتل عمه، فقد قالت له أنه توفيَ في الصباح.. وفي تلك الأثناء، كان أبو أمير بذلك الاجتماع في الشركة، فبدأت الأم بتغيير ملابسها على الفور.. وذهبت إلى الشركة التي يعمل بها زوجها.

***

على الجانب الآخر.. أثناء عودة أبو أمير وهو يقود سيارته إلى المنزل.. لاحظ اتصالات من أحد الأصدقاء، في تلك اللحظات قرر أبو أمير أن يغلق هاتفه، حيث، كان أبو أمير في حالة لا يرثى لها، فلم يكن جاهزًا للرد على أي شخص، فحتى هذه اللحظة، لم يخرج من تلك الصدمة التي تعرض لها، وأثناء قيادته كان سيصطدم بالسيارات من حوله، فعقله الباطن لم يتحمل تلك الصدمات التي مر بها، فقرر التوقف قليلًا بسيارته على جانب الطريق.. وأمسك بزجاجة مياه كانت قريبة منه بالمقعد الجانبي للسيارة، ليشرب قليلًا منها.. ثم يغسل رأسه بالباقي، حتى أفاق قليلًا.. ثم عاد ليكمل طريقه مجددًا..

***

في تلك الأجواء المضطربة _بينما الأم والأب خارج المنزل من جهة، والجميع في غرفهم نائمون_ كان أمير نائمًا هو أيضًا في البيت بعد أن أنهى تدريبه، بانتظار شهادته التي ستظهر بعد عدة أيام قليلة، وقد تعب من السهر ليلًا للبحث عن مكان حلم العمر.. الصيدلية التي يحلم بها، حيث كانت أحلامه دافئة، تارةً يحلم بمشروعه الذي اقترب من تحقيقه، وتارةً أخرى يحلم باستلام شهادته _والتي سيستلمها بعد أيام_ وتارةً أخرى يحلم بفتاته.. التي لا يمر يومٌ واحد إلا ويتصل بها ويتحدث معها.. يبدو أنه أحبها بالفعل وهي أيضًا تبادله نفس الشعور.

ثم فجأه استيقظ أمير على طنين السكون الذي عم أرجاء المكان، استيقظ أمير فجأة من تلك الأحلام الوردية.. وعينيه جاحظتان، وتنظر للأعلى بتمعنٍ تام.. في قلقٍ ورعبٍ شديد، فهذا السكون الذي يعم بالمكان.. لا يبشر أبدًا بالخير، فقد اعتاد أن يستيقظ على سماع صوت والدته، أو صوت التلفاز في الصالة وإزعاج إخوته الصغار.. يقول العلماء أن هناك غيبوبة أو زهايمر مؤقت.. تحدث للأشخاص بعد الاستيقاظ مباشرة.. والتي تستمر لخمس ثوانٍ تقريبًا.. وبعد أن أفاق أمير قليلًا؛ أمسك بهاتفه كما يفعل يوميًا كل صباح.. ليرى الإشعارات والرسائل أو أي شيءٍ جديد.. ولكنه لاحظ أن اليوم هو السبت.. ليفيق أكثر ويتذكر أن والده لديه استدعاء في الشرطة صباح اليوم.. مباشرةً اتصل أمير بوالده ليجد الهاتف مغلقًا، فبدأت الأفكار الغامضة تدور في ذهن أمير.. حيث أنه يتذكر أن والده في قسم التحريات وفي أمن الدولة، الجهاز الأكثر خطورة في العالم.. فليس هناك من يعبث معهم، تلك الكلمة كانت كافية بأن تقتل أحدهم من الخوف فقط قبل مقابلته لهم.. وما سبب اختفاء صوت والدته

المفاجئ والغريب أيضًا! مما زاد في شكوكه كثيرًا أن هناك أمرٌ خطير، نهض من سريره سريعًا.. بحث في كل الأرجاء.. لم يجد أي أثر لوالدته.. أمسك بهاتفه وسرعان ما بدأ يتصل بوالدته..

ردت عليه وهي في طريقها إلى مقر عمل زوجها:

- أجل يا حبيبي، كيف حالك.. لا تقلق والدك بخير وسيصل من رحلته بالسلامة، اطمئن أنا في طريقي لمقر عمل والدك، فعليَّ أن أحضر ما يثبت تواجد والدك بالشركة أثناء مقتل عمك.. لأنه مُتَّهمٌ بقتله، لقد أمهلوا والدك هناك ٤٨ ساعة، انتظرني حتى أرجع إلى المنزل.. لتسمع الأم صوت إنذار البطارية، فقد قاربت على الانتهاء..

فأجابها أمير وعيناه تتقلب حائرًا:

- ٤٨ ساعة! حسنًا يا أمي.. أنا بانتظارك..

وعلى الفور بدأ أمير سلسلة من الصراعات الذهنية.. لربط كل ما يحدث من حوله.. وهو يحاول بشتى الطرق تخمين ما حدث، فهل هناك رابط بمدة ٤٨ ساعة المتبقية من تلك المجموعة.. بمدة ٤٨ ساعة المطلوبة من رجال الشرطة.. اتسعت عيناه مخاطبًا نفسه.. "لحظة، يا إلهي، لا يمكن أن يكونوا هم".. ثم أمسك هاتفه محاولًا الاتصال بوالدته.. ولكنَّ الهاتف خارج نطاق الخدمة بسبب البطارية.

وعند عودة الأم للمنزل.. على الفور وجدت أمير أمامها قائلًا بانفعال:

- ليس هناك قضية قتل ولا أي شيء.. لقد فهمت كل شيء.. لمَ ذهبتِ إلى الشركة، ستتسبب بالمزيد من المشاكل لوالدي، إنهم نفس المجموعة التي طلبت منا المستندات.. لهذا أمهلوه مدة ٤٨ ساعة.. ماذا سنفعل الآن!!

لابد أن من بالشركة عرفوا كل شيء، وهذه العصابة لن تترك أحد على قيد الحياة!

ضحكت الأم ضحكات هستيرية غير مفهومة وهي تقول:

- يا لك من ذكي.. استطعت أن تفسر السر وراء ٤٨ ساعة، ولم تستطع أن تكتشف أن الجمعة والسبت عطلة.. فجميع إخوتك نائمين في غرفهم.. لا تقلق.. لحسن الحظ أنني وجدت الشركة مغلقة، فاليوم عطلة.

خبط أمير جبهته بكف يده باستياء قائلًا:

- يا إلهي.. لم أنتبه لذلك.

حَفلُ التَّتويِج

عندما تضيق بك الدنيا من جميع الجوانب، وعندما تتعرض لصدمات قوية، تبدأ الإشارات الكهربائية في المخ والأعصاب بالعمل بكامل طاقتها، هذا بالفعل ما يحدث أيضًا عندما يبدأ العقل بعملية "العصف الذهني".. يحاول العقل تجميع كل الخيوط المتواجدة أمامه.. ومن ثم ربط تلك الخيوط ببعضها البعض.. ليخاطب أمير نفسه قائلًا.. "لا لا، لا يمكن أن تنتهي الأمور بهذه البساطة، أنا متأكد أن لدينا شيئًا قد يساعدنا للوصول لتلك المستندات"..

بينما هو جالس يفكر، وصل أخوه من الجامعة برفقة والدته.. وبعد أن دخلا المنزل، جلست الأم ولم تتكلم بالطبع.. لأنها تعلم أن هذا الشيء سري كما أخبراها، حتى عاد الأب هو أيضًا من الخارج.. ليدخل هو أيضًا المنزل ويذهب للمجلس.. ويأمر ابنه الصغير بالذهاب لاستكمال واجباته.. وأعطاه هاتفه الشخصي لشحن بطاريته في غرفته.. فالأب يريد أن يبعد ذلك الهاتف بعيدًا.. وفي نفس الوقت يريد إخراج ابنه من المجلس بطريقة ذكية، كي لا يشك أن هناك ما يخفيه عنه، فأخذ ابنه الصغير الهاتف ونفذ ما طلبه والده.. حتى اطمأن الأب أنه لم يعد أحد في المجلس سوى زوجته وأمير..

لتقول له أم أمير:

- هل هم تلك المجموعة نفسها يا عبدالله، لقد استنتج أمير ذلك، فهل هذا صحيح؟

لم يستطع أبو أمير حبس دموعه أكثر من ذلك.. لتغرورق عينيه قائلًا:

- أجل.. إنهم ينتمون لنفس المجموعة، لقد طلبوني هناك عندهم بالمركز، وهددوني بأنني إن لم أحضر تلك المستندات؛ سيتم اتهامي بقتل طارق.. ويتم إعدامي بعد ذلك.. فقد أجبروني أيضًا على التوقيع على مجموعه من الأوراق.. والتي أقر فيها بأنني أنا من قتلت أخي.. ولكن هذا لم يهمني إطلاقًا.. الشيء الذي يخيفني أنهم لم يخبروني عن مصيركم!

صرخت الأم باكيةً تناجي ربها:

- يا رب، ماذا سنفعل الآن.. سيعدمون زوجي، ويتخلصون منا جميعًا، لقد تعبنا، ماذا عسانا أن نفعل!

قاطعهم ابنهم الصغير.. ودخل عليهم المجلس فجأة مخاطبًا أمير.. يخبره أن عليه تقديم مشروع نهاية الفصل الدراسي بعد غد بالكلية.. وعليه عرض "Presentation" أمام جميع زملائه في دفعته.. ويجب عليه استخدام الكمبيوتر المحمول، ولكن الكمبيوتر المحمول الخاص به قد تعطلت بطاريته.. لذا طلب من أخيه يرجوه أن يعيره ذلك اللابتوب.. الذي وجداه بسيارة ابن عمهم سعيد واحتفظ أمير به..

فقال أمير بصوتٍ منخفض وعيناه مذهولتان:

- اللابتوب!!

ثم بدأ يضحك بقوه وهو يقول:

اللابتوب.. أحسنت يا أخي.. ذلك الجهاز لم أفتش فيها بداخله.. قد تكون تلك المستندات المهمة موجودة هناك، صدقني إذا كان ما أفكر به صحيحًا.. أعدك أن أعطيك كل شيء تتمناه..

أشار له والده بيده سريعًا وهو يصرخ:

- ماذا تنتظر يا أمير، اذهب بسرعة لتتفقد ذلك الجهاز..

يطالعهم الأخ الصغير مذهولًا باندهاش.. وبسرعة كبيرة طار أمير من مكانه متجهًا إلى غرفته.. كصقرٍ اختار فريسته وهو ينقض عليها.. فتح أمير ذلك اللابتوب بحذر وقلبه ينبض بسرعة.. مغمضًا عينيه وهو يدعي ربه مناجيًا بشدة وخوف.. كمن يقوم بتفكيك قنبلة وسط الزحام.. فذلك اللابتوب هو الأمل الأخير أمامه.. وبدأ بالبحث في الملفات الموجودة بداخله، ليجد ملف خاص باسم "إلى ابن عمي أمير".. فتح أمير ذلك الملف.. وتفاجأ بتلك الملفات الكثيرة.. والتي تخص نوع معين وجديد من الأدوية.. ومشروح بدقة شديدة كيفية صناعتها.. وتركيبها الكيميائي والدوائي بالكامل، بدأت علامات النصر تظهر على ملامح أمير.. كمن دخل معركة وحيدًا.. يقاتل جيشاً كامل.. ثم ينتصر عليهم جميعاً.

وبينما يتصفح أمير تلك الملفات، وجد رسالة مكتوب عليها "هام للغاية"، ففتح ذلك الملف وبدأ يقرأ محتواها:

- "مرحبًا ابن العم الغالي، عند مقتل والدي، علمت أن حياتي ستنتهي من بعده قريبًا، لذا قمت بترك سيارتي الفارهة وجهاز الحاسوب الخاص بي في السيارة.. وسلمتها بعد ذلك لعمي، وأنا أعلم أنك من ستفتح اللابتوب لاحقًا.. لأن عمي كبير في السن، ولن يفهم تلك التكنولوجيا الحديثة، أعلم أن رجال لويز سيصلون إليكم بأي شكل من الأشكال.. ولن يتركوكم في حالكم أبدًا؛ لذا تركت تلك الأوراق في عهدتك أنت يا أمير، فهذا الدواء خطير ومدمر للصحة.. وقد حاولت أن أعوض بعض أخطائي أنا وأبي في هذه الحياة.. ونتخلص من هذا السم المدمر.. الذي تريد أن تنتجه تلك الشركة بشكل رسمي وقانوني، كعلاج لبعض أنواع

آلام الأعصاب، ونوع خاص من مرض السكر، ولكن في الحقيقه ما يفعله هذا الدواء بشكل عام هو تخدير العقل، وعمل نفس تأثير المخدرات بالعقل.. ولكن هذه المرة سيكون بشكل قانوني جدًا.. وسيتم أخذ موافقة "منظمة الغذاء والدواء إف دي إيه – FDA " لطرحه بالصيدليات بشكل رسمي، ثم بعد ذلك تسويق مفعوله الأصلي كمخدر خارق.. وذلك بعد أن يشتهر طبعًا بطريقة أعضاء لويز الخاصة وأسلوبهم، ليتم بعد ذلك استعماله كمخدر بشكل قانوني.. وبدون أي قانون يوقفه أو يمنعه، أرجوك.. أرجوك يا أمير لا تسلم لهم تلك المستندات أبدًا.. إلا في حالة الخطر النهائية، فقد أعطيتك اللابتوب.. لأكفِّر عن بعض الأعمال التي قمنا بها تجاهكم في الماضي، أعلم أننا ظلمناكم كثيرًا.. ولا نريد أن نورطكم مرة أخرى بسببنا، فكر جيدًا بما قلته قبل أن تتعامل مع أي أحد من أعضاء لويز، ليحفظكم الله.. ابن عمك سعيد".

فجأة.. دخل عليه والديه الغرفة..

فسألته والدته بانفعال شديد:

- هل وجدت شيئًا يا أمير.. بسرعة أجبني..

أجابها أمير بكل ثقة وعلى وجهه علامات القلق:

- لا تقلقي يا أمي، لقد وجدت كل شيء، ها هي الملفات أمامكم في ذلك الحاسوب.

تبدلت ملامح الأم تمامًا، وبدأت تبتسم وتضحك وهي تضم ابنها أمير.. ليضم أبو أمير ابنه أيضًا وهو ينظر إليه.. مخرجًا أنفاسه ببطء وراحة قائلًا:

- الحمدلله.. أحسنت يا أمير.. ليبارك الله فيك على هذا العمل، أنقذت والدك وأسرتك جميعًا، هيا حضروا أنفسكم جميعًا، فالليلة سأعزمكم على سهرة خاصة.

الجميع في غاية السعادة ويرقصون.. وأمير بدأ بالرقص معهم أيضًا، ولكن ما زالت في عينيه ملامح القلق.. فهناك سر قرر أمير إخفاءه عن الجميع.. الجميع يرقصون سعداء حتى ابنهم الصغير، وجميع الأسرة بدأوا يضحكون ويرقصون معهم.. لا يعرفون ما السبب.. ولكن اللحظات الجنونية لا تأتي كل يوم.. وما أجمل تلك اللحظات النادرة.. حينما ترى الأب والأم وجميع أفراد العائلة يرقصون ويضحكون.. فلمَ لا يشاركهم تلك اللحظات التي لن تتكرر.. فاللحظات السعيدة لا تتكر كثيرًا في هذه الحياة!

***

في الليل ذهب الجميع لأكبر مطاعم المدينة وأفضلها، فقد وعدهم الأب بقضاء أمسية فريدة لن يروا مثلها أبدًا، وأثناء تناولهم للعشاء..

نظر أبو أمير لابنه وهو يقول:

- الآن يا أمير.. لم يبق إلا أيامًا قليلة وتتخرج من تلك الجامعة، وتحقق ما كنا نحلم به أنا ووالدتك، عليَّ أن أقول لك شيئًا مهمًا، فعندما كنت في مركز الشرطة ذلك، كان هناك ضابط يُدعى راشد، وقد أخبرني أن هذا العالم مليء بالطيبين.. وبالأشرار أيضًا، أريدك فقط يا بُني أن تكون من هؤلاء الطيبين.. مهما حدث.

لوّح أمير برأسه مؤكدًا لوالده أنه سينفذ طلبه قائلًا:

- بالتأكيد سأكون من هؤلاء الطبيين، وسأتخذ من وظيفتي طريقًا لأساعد المحتاجين والمرضى.. أعدكم جميعًا بذلك..

ثم بدأ أمير يتذكر ما قرأه في ذلك الحاسوب، عن ذلك العقار الدوائي المثير، ويربط بين الأحداث التي جرت.. فهذا العقار بالتأكيد مهم جدًا بالنسبة لتلك العصابة أو المجموعة.. أو من يملكون عضوية لويز، ولهذا يريده الجميع بأي ثمن، فهو مستقبل عالم المخدرات بطريقه قانونية، فلن يستطيع أحد منع هذا العلاج.. والذي سيعالج فئة معينة من الناس، وفي نفس الوقت سيستخدمه المدمنون في تعاطي المخدرات.. ولكن بطريقة قانونية تمامًا.. ومن أين؟ من الصيدليات العامة والمستشفيات! ليخاطب أمير نفسه مذهولًا "يا إلهي، إنها فعلًا كارثة، ولكن حياة عائلتي مهددة.. سامحني يا رب.. سامحني يا ابن العم.. فلم يكن لدي خيارٌ آخر، ولكن ماذا لو علمت عائلتي فيما بعد بما فعلته؟!

قاطع أبو أمير حديث ابنه الداخلي.. ليخبره بأن يتصل بصديقه الدكتور سالم بعد العشاء.. ويخبره بأن يبدأ بالإجراءات وفتح الصيدلية في ذلك المكان، وبالفعل بعد تناول العشاء.. اتصل أمير بالدكتور سالم يخبره بما طلبه والده منه..

فيرد الدكتور سالم:

- حسنًا سوف أبدأ بالإجراءات من الغد.

بعد ذلك توجه أبو أمير ليدفع الحساب.. ليخبره النادل:

- لقد تم دفع حسابك يا سيدي..

سأله أبو أمير باستغراب:

- من الذي دفعه؟

رد النادل بلطف:

- لقد جاء إليَّ شخصٌ منذ قليل.. ودفع مبلغًا كبيرًا تحت الحساب برقم طاولتك يا سيدي.. ثم انصرف.

تعجب الأب كثيرًا من ذلك!

***

بعد عودتهم إلى المنزل.. ذهب الجميع إلى غرفهم، ولكنّ أمير ووالده ظلا في المجلس جالسَين.. حتى رن هاتف أمير من رقم مجهول قائلًا..

- مرحبًا.. الدكتور أمير معي؟

ليجيب أمير متعجبًا:

- أجل، من معي؟!

رد عليه ذلك الشخص وعلى صوته علامات الفرح:

- " أحسنت صنعًا يا بطل، نرجو أن تكونوا قد استمتعتم جميعًا في ذلك المطعم وتتقبلوا تلك الهدية مني، غدًا ستأتي بمفردك إلى مركز الشرطة الذي جاءه والدك مسبقًا.. ولا تنسَ إحضار تلك المستندات التي وجدتها" ثم أغلق ذلك الشخص الهاتف.

حاول أمير الرد صارخًا قبل انتهاء المكالمة:

- من معي، الو، الو..

نظر أبو أمير لابنه وسأله بحيرة:

- من الذي اتصل بك يا أمير؟

- إنهم مركز الشرطة الذي ذهبت إليه مسبقًا يا والدي، ولكن ذلك الصوت ليس غريبًا علي.. فقد أخبرني ذلك الشخص المجهول بأن أذهب

إليهم في الغد منفردًا.. وأُحضر معي جميع المستندات التي وجدتها، وأسلمها لهم.

حاول أبو أمير تحذيره مندفعًا:

- احذر يا أمير من هؤلاء الأشخاص، راشد وفيصل أنا أعرفهم جيدًا.. فقد تعاملت معهم، على كل حال لا تقلق، سآتي معك غدًا لإيصالك لذلك المكان.. وسأنتظرك بالخارج حتى تنتهي.

***

في صباح اليوم التالي استيقظ أمير ووالده.. وأصبحا جاهزَين للذهاب لذلك المكان، وقبل ركوبهما السيارة.. أخذ أمير هاتفه هو ووالده.. وألقاهما بالشنطة الخلفية للسيارة، حتى لا يستطيع أحد التجسس عليهما بعد الآن.. أو سماع أي شيء يدور بينهما وهما في الطريق، وأثناء الطريق.. ظل أبو أمير ينصح ابنه ويحذره من هؤلاء الأشخاص.. فهم ليسوا ضباط شرطة صالحين، إنهم فاسدون بكل ما تحملة الكلمة من معنى، بل إنهم يسبقون الفساد بدرجات، ويستعملون سلطاتهم ونفوذهم بشكلٍ خاطئ.. ليصلوا لما يريدونه، أو بالأصح ما يُؤمَرون به..

أمر أبو أمير ابنه بحزمٍ قائلًا:

- لا تقف في طريقهم أبدًا يا بني.. ونفذ كل ما يريدانه منك، فهذا الجهاز هو أقوى جهاز في الدولة.. وجميع الصلاحيات التي تتخيلها والتي لا تتخيلها بأيديهما.. لقد أهانوني كثيرًا وأنا بالداخل..

وبدأت الدموع تتساقط ببطء.. حتى أكمل الأب من جديد:

- لم أستطع أن أقول هذا الكلام أمام والدتك.. لقد فقدت الوعي هناك.. بل هذا الضابط الذي يسمى فيصل.. قام بضرب رأسي على الطاولة

عندما رفضت التوقيع على تلك الأوراق، والضابط الآخر الذي يُدعى راشد.. الخبث والمكر يتدفق في عروقه وهو يتلاعب بالآخرين، لا تجعلني أندم أنني حكيت لك ذلك الموقف.. فقط أريدك أن تأخذ حذرك منهما.. ولا ترفض لهما أي طلب.

بدأ الخوف يتملَّك أمير قليلًا من تحذيرات والده.. والغضب يشتعل في قلبه..

فردّ بهدوء شديد محاولًا السيطره على غضبه:

- صدقني يا والدي لا تقلق.. لن يحدث أي ضرر، فقد وجدنا ما كانوا يبحثون عنه، أقسم لك يا والدي أنهما لن يستطيعا أذيتي..

تمر لحظات سريعة.. حتى بدأ أمير يشير لوالده بالتوقف.. قائلًا بهدوء:

- أوقف السيارة الآن يا والدي.. أريدك أن تكرر نفس ما قلته مرة أخرى.. ولكن دون ذلك الجزء الخاص بالإهانة.

سأل الأب مندهشًا:

- ماذا بك يا أمير؟ هل جننت!

رد أمير بهدوء شديد وصوتٍ خافت:

- ثق بي يا والدي.. فقط ثق بي وأوقف السيارة الآن.. وسترى ماذا سأفعل.

أوقف الوالد السيارة على جانب الطريق.. ونزل أمير من السيارة إلى الخلف.. فاتحًا شنطة السيارة يأخذ منها الهواتف.. ثم يعود إلى السيارة من جديد.. مشيرًا بإصبعه إلى والده بتكرار الكلام كما اتفقا..

كرر الأب كلامه:

- احترس يا بني من هؤلاء الأشخاص. فهم يملكون جميع الصلاحيات. نفذ كل ما يطالبونه منك ولا تقف في طريقهم.

رد أمير بثقة:

- لا تقلق يا والدي، لا تنسَ أن لدينا نسخًا من تلك المستندات.. وقبل خروجنا أخبرت أخي الصغير.. أنه في حالة عدم عودتنا إلى المنزل.. أن يقوم بنشر تلك المستندات على موقع "يوتيوب"!

انصدم الأب قليلًا وهو ينظر إلى عيني أمير.. ثم تابع:

- خذ هذه النصيحة مني.. فأنا رجل قد أكل الشيب رأسي.. ورأيت الكثير في هذه الحياة، احترس وأنت تتعامل معهم.. وتوكل على الله وسيحفظك.

نزل أمير من السيارة.. وأعاد الهواتف لشنطة السيارة الخلفية مرة أخرى.. ثم عاد لمقعده من جديد وعاد الأب للقيادة من جديد..

نظر إليه والده مبتسمًا وهو يقول:

- لقد كانت فكرة جيدة يا بني.. أحسنت.

ابتسم أمير ابتسامة ساخرة قائلًا:

- لقد شاهدتها في أحد الأفلام.. أرجو أن تبدي نفعًا.

مرَّ الوقت ببطءٍ شديد.. حتى وصلا إلى المركز، نزل أمير من السيارة مودعًا أباه وهو يحتضنه، ثم بعد ذلك نزل والده أيضًا ليراقبه من بعيد وهو ينتظره واقفًا عند السيارة.

***

دخل أمير إلى الساحة الخارجية ليرى طابورًا طويلًا بالخارج، وبدأ يستمع إلى تلك المشادات الكلامية والمشاحنات بين الجميع.. ليكتشف أن اليوم

مزدحم.. لأنه خاص بتعديل إقامات الأجانب بالدولة، ويضطر أمير بالوقوف معهم في ذلك الطابور الطويل.. ومعه المستندات على قرص "سي دي"، سمع صراخ الضابط الذي ينظم الطابور.. يصرخ في وجه الجميع بلا رحمة.. يحذر ذلك.. ويخرج الآخر من الطابور.. ويضرب ذلك، حتى رنَّ هاتف أمير..

فيفتح أمير الخط سريعًا كأنه طوق النجاة:

- أين أنت يا أمير؟

فيجيبه أمير وعلى صوته علامات التعب.. من الوقوف تحت هذه الشمس الحارة:

- أنا بالخارج أقف في ذلك الطابور الطويل.. ولا أستطيع الدخول..

رد عليه ذلك الشخص:

- أعطني ذلك الأحمق الأبله الذي ينظم الطابور..

أمسك أمير هاتفه.. ذاهبًا بحرص إلى ذلك الشرطي الذي يقف غاضبًا بالأمام.. وطلب منه أمير أن يرد على الهاتف.. فما كان من ذلك الضابط.. إلا أن نظر إليه ساخرًا بنظرات استحقار وهو يقول:

- هل أنت أحمق؟ ألا تراني مشغولًا! ماذا تريد؟ صدقني لن أدخلك مهما كان من يريد محادثتي.. حتى لو كان الوزير نفسه، ناولني هذا الهاتف لأرى..

فإذ بأمير يسمع ذلك الشرطي الذي ينظم الطابور وهو يتكلم بسخرية:

- أجل.. ها.. من معي!

ليلقي ذلك الضابط التحية فورًا.. ويقف بانضباط شديد والخوف يملأ عينيه.. ويبدأ بالضحك خجلًا محاولًا استدراك ذلك الموقف.. ثم يكمل:

- اعذرني يا سيدي.. لم أكن أعلم أنه أنت يا سيدي فيصل.. حاضر سيدي.. حاضر سيدي.. سأقوم بإدخاله بنفسي حالًا.. أرجو أن تسامحني.. مع السلامة.

قدَّم ذلك الشرطي الاعتذار إلى أمير.. وتبدَّلت ملامح وجهه كليًا.. ورافقه للداخل.. ثم سأله:

- من أنت يا رجل، هل أنت ابن وزير أم ابن سفير أم ماذا، اعذرني إن كنت كذلك، لكن كان عليك إعلامي منذ البداية أن سيدي فيصل يريدك بالداخل.

ثم أوصله إلى ذلك الباب الزجاجي وتركه وذهب.

رأى أمير شخصًا يقف في الجانب الآخر.. يأتي إليه مبتسمًا ممسكًا ببطاقة إلكترونية.. ويفتح بها ذلك الباب الزجاجي.. ويسأله ذلك الشخص:

- هل أنت أمير عبدالله؟

- نعم، أنا هو.

ثم هز ذلك الشخص رأسه مبتسمًا.. يسلم على أمير باحترام شديد.. ويأخذه معه إلى نفس المكتب الذي دخله والده في المرة السابقة.. ويطلب من أمير الجلوس والانتظار.

دخل شخصان آخران إلى الغرفة وسلَّما على أمير، ليتفاجأ أمير بدخول سلطان بعدهما أيضًا..

بدأ سلطان بالحديث:

- بالتأكيد أنت تعرفني يا دكتور أمير، أريد أن أعرفك بالنقيب راشد.. والرائد فيصل من أمن الدولة، وبالتأكيد أنك تعلم أن لديهما عضويات لويز معنا، جاءنا اتصال من الإدارة العليا بالخارج.. يخبروننا بأنك

ستحصل على منصب عمك طارق.. وستأخذ مكانه وتأخذ عضوية لويز الخاصة به، وهي في الحقيقة عضوية مميزة جدًا.. تكاد تصل لنفس صلاحياتي، بتلك الصلاحيات سيعمل فيصل وراشد تحت يديك، بل وأكثر من ذلك.. ولكن أولًا، أرني ذلك القرص المدمج "السي دي" الذي تحمله.. لأتأكد هل فعلًا هو ما نبحث عنه أم لا.

رد أمير واضعًا قدمًا فوق الأخرى أمامهم.. وهو ينظر إلى فيصل قائلًا:

- أولًا، اتصل بوالدي الآن ليحضر، فهناك حسابٌ قديم يجب علي تصفيته الآن..

تكلم سلطان متحيرًا:

- هيا يا رجل.. لا داعي لذلك الآن، أيضًا لا تنسَ أنك لم تستلم تلك العضوية بعد، وأستطيع أنا أيضًا أن أغير الخطة تمامًا..

ضحك أمير بصوتٍ عالٍ، ورد بثقة:

- اتصل بوالدي ليدخل الآن.. ولا تنسَ أن تخبر ذلك الأبله الأحمق أن يدخله.

ليتشاوروا فيما بينهم قليلًا.. حتى نفذوا في النهاية ما طلبه أمير منهم.. ثم دخل أبو أمير خائفًا حتى وصل إلى غرفتهم.. أمسك أمير ذلك "السي دي" وضعه فوق قدمي والده وهو يقول:

- الآن.. لينزل الشخص الذي أهان والدي ويأخذه.

صدم بعد ذلك الجميع من ذلك التصرف.. فردَّ فيصل سريعًا بغضب:

- هل جننت أيها الـ..

قاطعه سلطان سريعًا ممسكًا يده وهو يقول غامزًا بعينه:

- لحظة.. انتظر.. دائمًا أنت متسرع.. هيا يا رجل أحضر ذلك "السي دي" ولننتهي من تلك القصة، ومن اليوم يجب أن تحترم مسئولك الجديد، لا نريد المزيد من المشاكل.

نزل فيصل وهو منزعج آخذًا ذلك "السي دي".. ليمسك أمير برأس فيصل ويصدمها بقدم والده.. مما أثار غضب فيصل بشدة.. وقبل أن يتهور، أمسك سلطان بـ "السي دي" سريعًا من يده..

أجلسه راشد بجانبه متحدثًا أخيرًا ببرود شديد.. بعد ذلك الصمت الطويل:

- الموضوع بسيطٌ للغاية، إذا كانت المستندات المطلوبة في ذلك القرص.. فقد أخذتَ حق والدك يا أمير.. ولكن إن لم تكن هي المستندات المطلوبة.. ببساطة سيقتلك فيصل ويتخلص من جثتك.

ضحك سلطان محاولًا تغيير الموضوع سريعًا قائلًا:

- هيا يا شباب.. لا داعي لكل تلك المشاحنات.. أعتقد يا أمير أنك ستحل مكان عمك.. بل وأكثر من ذلك.. هيا لنرى تلك المستندات ونتفحصها.

بدأ سلطان بتشغيل السي دي على حاسوبه الشخصي الذي كان يحمله.. ويتابع:

- ليبروسكاي.. جميل جميل، أحسنت.. هذا ما نريده تمامًا، بعد أسبوع هناك اجتماع كبير لنا في الشركة، لأننا سنعين مسئولًا كبيرًا.. سيتولى منصب نائب المدير العام لشركة لويز بالشرق الأوسط وآسيا، هل أنت جاهز لهذه المهمة أيها البطل؟

أجابه أمير متعجبًا:

- ها! أنا! بالطبع أنا جاهز، ولكن حفل تخرجي في الجامعة سيكون الأسبوع القادم.. وسأستلم شهادتي وقتها من الجامعة، وبالطبع بعدها سأكون جاهزًا لأن أعمل لديكم بتلك الشهادة..

انفجر الجميع من الضحك.. ليخبره راشد بسخرية:

- انظر يا أمير، شهادتك لا تعني لهم أي شيء، صدقني كل ما يهمهم.. هو أن تكون مخلصًا لهم أكثر من أسرتك.. هذا كل ما بالأمر.

وبينما يستمع سلطان لكلام راشد، هزّ رأسه بتأييده لهذا الكلام، مخبرًا أمير:

- كان يمكننا أن نتخلص منك يا أمير، ولكن أعطيناك فرصة العمر.. فلا تخذلنا رجاءً، نعلم أيضًا أن لديك نسخة من تلك المستندات معك، احتفظ بها كما شئت.. ولكن في مكانٍ أمين.. لأنها الآن هي حياتك، صدقني إذا ظهرت في أي مكان.. ستختفي أنت وعائلتك من هذه الحياة.. يمكنك الذهاب الآن إن شئت.

عاد أمير هو ووالده للبيت..

وبكل فرحة أبو أمير يقول للجميع:

- تعالوا جميعًا هنا.. فلديَّ خبرٌ رائعٌ لكم، لقد أصبح أمير نائب المدير في شركة لويز..

وبدأ جميع إخوته وعائلته يهنئونه، فرحين جميعًا بتلك الأنباء السعيدة التي قلبت أحزانهم وخوفهم ومأساتهم لفرحة عارمة تعم أرجاء البيت، ثم أمسك أمير هاتفه واستأذن عائلته بالخروج.

***

غادر أمير المنزل وركب السيارة.. ليتصل بذلك الشخص الذي انشغل عنه لفتره كبيرة.. لتغلق الهاتف في وجهه، ويعاود أمير الاتصال بها مرة أخرى..

حتى فتحت ريم وهي تجيب:

- ماذا تريد مني يا أمير، لم تعد تهتم.. ولا حتى ترد على اتصالاتي كل تلك الفترة.. هل حقًا متّ كما أخبرتني سابقًا!

ضحك أمير وهو يقول:

- اهدئي قليلًا يا ريم.. فأنتِ تعلمين أنكِ أغلى ما عندي، أقسم لكِ أنني كنت بمشكلة كبيرة، وها قد انتهت والحمدلله.

ردّت ريم بغضب:

- بعد كل هذا وتضحك أيضًا.. كم أنت وقح ومستفز.. أنت بارع جدًا بالكذب يا أمير.. ولن أصدق أن أي مشكلة قد تنسيك ريم، لماذا لم تخبرني بتلك المشكلة كما أخبرك أنا أيضًا بمشاكلي؟

أجابها أمير محاولًا تغيير الموضوع:

- هل تعلمين أن الأسبوع المقبل سيكون حفل تخرجي من الجامعة؟

- بالطبع أعلم ذلك، فكل ما يهمك يهمني أنا أيضًا! ولكنك للأسف لا تستحق كل ذلك.

- إذًا ما رأيكِ أن أعزمكِ الآن على شرب القهوة بالخارج.. كما كنا نشربها بالمستشفى.. هل تذكرين تلك الأيام؟

- سأوافق ولكن بشرط، ألا تكرر ذلك مرة أخرى..

- أنا موافق، وأعدكِ أنني لن أكررها مرة أخرى..

***

بعد ساعات.. التقى أمير بريم في ذلك المقهى الراقي والجميل في وسط المدينة..

سألته ريم متوعدة:

- أولًا وقبل كل شيء، عليك أن تخبرني بتلك المشكلة التي أبعدتك عني طوال تلك المدة.

بدأ أمير يفكر قليلًا كيف يخرج من تلك الورطة، فبالتأكيد لن يخبرها الحقيقة، ولن يراهن بتلك المكاسب التي كسبها على حقيقة لم تعد مهمة لأحد، فهو سر عظيم، واذا أفشاه سيفقد كل شيء، حتى حياته هو وأسرته..

فرد عليها أمير بحزن:

- لقد كان والدي متعبًا قليلًا، وكنت أبيت معه في المستشفى، لأرعاه، وقد نسيت هاتفي بوضعية الصامت في المنزل.. هذا كل ما في الأمر.

- سأحاول تصديقك، ولكن كيف صحة عمي الآن، هل هو بخير؟

- أجل لا تقلقي.. لقد تحسنت صحته الآن.. ريم.. أريد منك طلبًا، وأرجو ألا ترفضيه.

- ما هو يا أمير؟

- أريد منكِ أن تحضري حفل تخرجي.. لأن حضوركِ يهمني جدًا.

- امم.. حسنًا.. أنا موافقة، ولكن ستحضر أنت أيضًا حفل تخرجي.

ضحك أمير قائلًا:

- امم.. موافق جدًا.

ثم أنهيا حديثهما وتناولا قهوتهما وغادرا المكان.

***

مرَّ الأسبوع سريعًا.. إنه ذلك اليوم المميز، إنه يوم حفل تَخَرُّج أمير، فقد كانت جميع أسرته متواجدة.. وجميع أسر الخريجين الآخرين أيضًا.. وكانت ريم أيضًا حاضرة، تجلس في ذلك الركن من القاعة، تنظر وتراقب من بعيد، وتتخيل يوم تخرجها، حتى سلطان حضر ذلك الحفل.. فأمير الآن أصبح شخصية مهمة لديهم بالشركة، فلا يُعقل أن يتغيب سلطان عن أسعد اللحظات التي يمر بها أمير الآن، ليذهب إليه سلطان ويبارك له، ويخبره بألا ينسى اجتماع الشركة، وذلك لتنصيبه نائبًا للمدير العام، بدأ الجميع يتجمع حول سلطان.. فالأساتذه الجامعيين قد عرفوه، ثم تحدثوا معه قليلًا.. حتى استأذن منهم بعد ذلك وغادر سريعًا.

صعد بعد ذلك الخريجين إلى مسرح القاعة.. والذي يقف عليه رئيس الجامعة وبعض الشخصيات الهامة من بينهم الوزير.. لكي يقوموا بتكريم هؤلاء الطلبة الخريجين، وبدأ حفل التخرج للطلبة الخريجين.. والذي كان من بينهم أمير يقف مرتديًا زي التخرج ، حتى نوديَ اسمه.. صعد على المنصة واستلم شهادة تخرجه وسلَّم على رئيس الجامعة ثم الوزير.. ونزل ليجلس بجانب زملائه، ومن بعيد.. تجلس ريم وتراقب أمير في شعور يغمره الفخر.. فهي ترى الشخص الذي يسكن قلبها يتسلم شهادته وهو في غاية السعادة، فلا تستطيع ريم أن تخبئ تلك النظرات اللامعة.. وهي جالسة تراقب نجاح أمير وتفوقه،

وعلى الجانب الآخر.. هناك نظرات يملؤها الحب والحنان من جانب الأم، والتي لم تستطع أن تتمالك نفسها.. فانهمرت الدموع أنهارًا.. دموع السعادة الغامرة، وفي نهاية الحفل.. تجمع جميع الخريجين على المنصة حتى

يأخذوا صوراً جماعية وتذكارية، وفي النهاية يرمي جميع الخريجين قلنسوة النخرج للأعلى.. وسط هتافات وتصفيق حار من جميع الحاضرين.

***

بعد عدة أيام.. كان هناك حفل آخر ومميز.. ذهب أمير إلى مقر الشركة.. تفاجأ بمجموعة كبيرة من الموظفين متواجدين ويصفقون له بحرارة، ليتم بعد ذلك تنصيبه _رسميًا_ نائبًا للمدير العام في الشرق الأوسط وآسيا، وعندما تسلم أمير عقد العمل؛ بدأ جميع من لديهم تلك العضوية بالمباركة له.. وبدأت الفتيات يتقربن منه ويغازلنه.. حتى أستأذنهن سلطان وطلب من أمير أن يحادثه في زاوية بعيدة عن الأنظار قليلًا.. هنأه بالطبع وأخبره أن الصيدلية التي وعده بها في ذلك المول الضخم أصبحت جاهزة للعمل وأنها له، ولكن ستحمل اسم الشركة الخاصة بهم فقط، وطلب منه أن يفعل ذلك أيضًا بالصيدلية الجديدة التي سيشارك فيها صديقه الدكتور سالم..

تعجَّب أمير قائلًا:

- كيف علمت بتلك الشراكة!

ضحك سلطان ساخرًا وهو يقول:

- أنت مازلت شابًا صغيرًا يا أمير.. أريدك أن تكون رجلًا صلبًا، فمجموعتنا لا تحب الضعفاء.. ونحن نكبر ونتوسع كما ترى، ستبدأ أنت لتتولى مسئولية موضوع الصيدليات الخاصة بنا وهي "مجموعة صيدليات لويز".. نريد أن نتوسع بشكل جنوني.. لا تدع همًا مطلقًا لمسألة التكاليف، فقد وضعنا خطة مبدئية أن يكون لدينا مائة صيدلية على الأقل قبل أخذ موافقة "منظمة الغذاء والدواء" "FDA" في الولايات

المتحدة.. وبينما نقوم بأخذ الموافقة على طرح دوائنا الجديدة في السوق الدوائية، سأكلفك أنت فقط بالإدارة الكاملة والإشراف على موضوع تلك الصيدليات.. وإذا واجهتك أي مشكلة قم بالرجوع إليَّ فورًا.. لأنني سأذهب إلى الولايات المتحدة، ويجب أن ننتهي من أخذ تلك الموافقة خلال هذا العام.

سأله أمير متعجبًا:

- كيف لدواء أن يأخذ الموافقة عليه خلال سنة واحدة فقط؟ فكما درست في الجامعة؛ مراحل تجربة أي دواءٍ جديد وأخذ الموافقة على طرحة في السوق الدوائية، لا تقل عن أربع سنوات على أقل تقدير!

ابتسم سلطان وهو يقول:

- أنت ذكيٌّ جدًا بالجامعة يا فتى، ولكن أريدك أن تكون ماهرًا في هذه الحياة أيضًا، نعم.. كلامك صحيح.. ولكن يمكننا الإسراع في أخذ الموافقة على طرحه بالسوق.. وذلك في حالة إن كانت الفائدة العلاجية نادرة.. والمرض الخاص به منتشر وليس له علاج فعال، وهذا ما سنفعله بالضبط.. وبالتأكيد لدينا عضو لويز مميز تابع لنا في السيناتور الأمريكي.. سيسهل علينا الكثير من أعمالنا، فلن يمر ذلك العقار بمراحل عديدة لاختصار الوقت، وذلك سيسهل مهمة خطيرة، وهي إخفاء بعض الآثار الجانبية التي لن يجدوا وقتًا كافيًا لاكتشافها، أريد أن أخبرك يا أمير.. أن هذا الدواء له تأثير رائع في تحسين المزاج.. وهذا ما نريده.

قاطعه أمير سريعًا:

- بل إذا أُخذ بكمية كبيرة؛ سيظهر مفعول الأعراض الجانبية.. والتي تؤثر بالوظائف الدماغية.. فهي تشبه تناول قطعة من مخدر الكوكايين أو

الأفيون، لكن طالما أنه يؤخذ بجرعة قليلة جدًا.. كالتي ستقوم أنت بتخصيصها؛ سيعالج أنواع مهمة من آلام الأعصاب.. والتي تُعد أقوى الآلام التي يصعب علاجها بالمسكنات العادية.. كما ستقوم بتخصيصه لعلاج نوع خاص ودقيق من مرض السكر، والذي سيسهل مهمة الحصول على الموافقة.

نظر إليه سلطان واضعًا يده على كتفه قائلًا:

- لقد أصبحت ماهرًا يا أمير.. أرجو ألا يعلم أحد بهذا السر.. ولهذا اختاروك لتكون نائبًا لي، فكما قلت لك سابقًا.. أي شيء تقوم به الشركة يجب أن تحسبه بدقة شديدة جدًا، ما يهمني الآن أن تكون المائة صيدلية جاهزة خلال الأشهر العشرة القادمة، ولا تحمل همَّ الجانب المادي.. سأخصص لك في قسم المالية بالشركة مبلغ ٣٠ مليون دولار.. لتبدأ في تشييد تلك الصيدليات.. وأنا متأكد أنه سيتبقى لديك فائض من هذا المبلغ، أهم شيء يجب أن تعلم أهميته هو المكان يا أمير.. المكان، أنت مولود هنا في هذا البلد.. ولابد أنك تعلم أفضل الأماكن المميزة هنا، قم باختيار تلك الأماكن.. وقم بالتنسيق مع أعضاء لويز في وزارة الصحة، سيسهلوا عليك مهمة الحصول على التراخيص بسهولة، وإن واجهتك أي صعوبات، فبالتأكيد معك رقم راشد وفيصل لتستعين بهما.. والآن بعد هذا الحديث الطويل، دعنا نستكمل احتفالنا مع بقية الحضور.. حتى لا يلاحظ أحد اختفاءنا.

الأيدي الخفية

يجلس أمير في صيدليته الخاصة.. مع شريكه وصديقه الدكتور سالم.. فهو لا يستطيع أن يتغيب كثيرًا عن تلك الصيدلية.. حيث كان يهتم بها بشكلٍ خاص، فلا يشتري أغراضه واحتياجاته إلا منها، فدائمًا الأحلام الأولى تكون مميزة.. مهما كانت بساطتها.. فالبيت الأول والسيارة الأولى والهاتف الأول.. والزوجة الأولى وكذلك الحب الأول.. تلك أشياءٌ لا تُشترى.

وبينما يرتب الدكتور سالم الأدوية..

سأل أمير قائلًا:

- هل تعلم يا أمير لماذا قاموا بفصل الصيادلة عن الأطباء؟!

ردّ أمير متعجبًا:

- وهل كانوا كيانًا واحدًا فيما مضى!

ضحك الدكتور سالم قليلًا ثم أجاب:

- بالطبع.. عندما كان يكشف الحكيم على المرضى في الماضي، كان يحضر لهم الدواء بالأعشاب في نفس الوقت.. هل تجده شيئًا صعبًا أن تتعلم كيف تُشخِّص المرض، وأن تعرف الدواء المناسب لهذا المرض!

رد أمير متحيرًا:

- في الحقيقة لا.. حتى أننا بالفعل ندرس ما يفعله الأطباء.. وهم يدرسون ما نتعلمه أيضًا.. إذًا لماذا قاموا بتقسيمنا!

أجاب الدكتور سالم بهدوء شديد:

- حسنًا.. يجب أن تعلم أن الطبيب والصيدلي وجهان لعملة واحدة.

ثم أخرج الدكتور سالم عملة ورقية من جيبه.. وقطعها نصفين.. ثم تابع:

- إذا كنت أنا الآن الطبيب وأنت الصيدلي.. وقمت بإعطائك النصف الآخر من العملة الورقية.. هل ستستطيع الاستفادة من قيمة تلك العملة؟

- بالتأكيد لا.. فقيمة تلك العملة عندما تكون كاملة.. ولكن ليس هناك أي قيمة مالية لها الآن.. إلا إذا قمنا بإلصاقها من جديد.

ابتسم الدكتور سالم قائلًا:

- أحسنت.. ليس لها أي قيمة مالية مادامت مقسومة نصفين.. لذلك قاموا بفصل من يقومون بتشخيص المرض.. ومن يقومون بصرف العلاج.. لأنهما إذا اتحدا في شخصٍ واحد.. سترجع قيمتها وفائدتها من جديد..

فكَّر أمير قليلًا.. ثم قال مصدومًا:

- يا إلهي.. هذا معناه أن الطبيب إذا اتحد مع الصيدلي..

يقاطعه الدكتور سالم سريعًا:

- بالضبط هذا ما سيحدث.. لقد بدأت تفهم اللعبة الآن.

***

بعد ساعات.. ذهب أمير إلى مقر عمله في الشركة.. فاستقبلته السكرتيرة بتلك الأوراق الكثيرة.. ليشير لها أمير بوضع تلك الأوراق والخروج.. ثم يطلب منها فنجانًا من القهوة.. فتغادر السكرتيرة وتحضر القهوة سريعًا.. جلس أمير واضعًا قدمًا فوق الأخرى على مكتبه.. يراجع تلك الأوراق سريعًا..

ممسكًا بفنجان القهوة بيد، وباليد الأخرى بسماعة الهاتف متحدثًا:

- أهلا بك يا راشد.. أنا بخير ماذا عنك؟ أجل.. هناك من يريد عرقلتي.. يريد المزايدة علينا وأخذ ذلك المكان.. أنت تعلم أنني لا أحب الدماء، لذلك اتصلت بك.. فقط قرصة أذن تفي بالغرض.. هناك أمرٌ آخر.. أجور الصيادلة ومرتباتهم أصبحت عائقًا كبيرًا أمامي.. قمت بإعداد ثلاث خطط محكمة، واحدة منهم ستقوم أنت بتنفيذها.. أعلم أعلم لا تقلق.. سأرسل كافة التفاصيل مع رجالنا لمكتبك.. مع السلامة.

رفع أمير سماعة الهاتف من جديد:

- صباح الخير.. كيف حالك أبو عيسى.. اعذرني فقد انشغلت كثيرًا الفترة الماضية.. حتى الآن قمنا بحجز ٥٠ مكانًا.. ونريد الإسراع في استخراج التراخيص.. حسنًا سنرى.. هناك أمرَان سأطلبهما منك.. ليس على الهاتف.. سيصلك رجلي ويسلمك التفاصيل.. حسنًا.. إلى اللقاء.

مرة أخرى.. يرفع أمير السماعة:

- أهلًا يا حَمَد.. كيف حالك وأخبار البحر لديكم.. لقد تحدثت بالأمس مع رجلنا في الجمارك.. ستدخل بحمولتك وتسأل عن "الضابط أبو خالد".. بعدها ستخبره بكلمة السر "مبروك فوز ريال مدريد".. إذا أجابك أن اللاعب رونالدو قد تألق في تلك المباراة.. بالتأكيد أنت تعلم ماذا ستفعل.. وإن أخبرك أنه للأسف لم يلعب جيدًا.. فأنت أيضًا تعلم ما عليك فعله.. حسنًا سأتصل بك لاحقًا.

لم تمر دقائق قليلة.. حتى رن الهاتف من جديد.. ليمسك أمير السماعة باستياء:

- أجل يا جوزيف.. قلت لك مرارًا لا تقف في طريقنا.. لقد تركنا لكم ثلاث مدن.. أما الباقي فهو لنا.. إن حاولت أن تضايقنا مرة أخرى؛ أعدك أن أجعل شركتكم تشهر إفلاسها.

ثم أغلق أمير الهاتف بغضب.. فجأة دخلت السكرتيرة المكتب سريعًا.. الهلع يسيطر على وجهها وهي تقول:

- سيدي.. سيدي.. يوجد لدينا مشكلة كبيرة.. مجموعة عيادات لايت.. رفضوا كتابة دوائنا في وصفاتهم.. مديرهم التنفيذي طلب مبلغًا خرافيًا لكي يسمح بكتابة أدويتنا في وصفاتهم الطبية..

أمسك أمير بذيل القلم.. يفتحه ويغلقه سريعًا في حركة لا إرادية تعبر عن التوتر والغضب.. ثم نظر إلى السكرتيرة قائلًا:

- كم المبلغ المطلوب؟

أجابت السكرتيرة بخوف:

- لقد طلبوا شيكًا بعشرة ملايين دولار.. وأن يكتب باسم "رمزي أحمد الساعدي"

رد أمير بهدوء:

- حسنًا يمكنك الخروج الآن.. سأتولى الأمر.

أخرج أمير ذلك النصف المقطوع من العملة يتأمله.. ثم قال:

- يجب أن ألصقها بالنصف الآخر من جديد..

أمسك أمير بسماعة الهاتف وهو يضحك:

- صباح الخير.. اشتقت لصوتك يا رجل.. بالطبع لا نستطيع الاستغناء عنك.. هناك موضوع خاص.. نريد تغيير بند في قوانين وزارة الصحة.. أعلم أنه صعب.. ولكنه ليس صعبًا على أبو عيسى.. حسنًا.. ما رأيك ألا

تتكفل الحكومة بعلاج العيادات الخاصة في التأمين الصحي؟ وأن يقتصر العلاج المجاني فقط على المستشفيات الحكومية.. ليس شرطًا أن يكون بالكامل.. يمكنك أن تجعل المريض يدفع النصف مثلًا.. ما رأيك؟ ستستفيد الحكومة.. وستستفيد أنت أيضًا وأنا.. جميل.. سأنتظر الخبر إذًا على أحر من الجمر.

لم ينسَ أمير صديقه علي الذي تخرَّج معه، فقد أعطاه منصبًا في الشركة.. وهو أن يقوم بمراقبة المبيعات في تلك الصيدليات معه، فهو الشخص الوحيد الذي يثق به أمير، أيضًا لم ينسَ فتاة أحلامه.. ولم يغب عنها يومًا واحدًا، فكل يوم يتصل بها.. بل ويوصلها إلى جامعتها في بعض الأحيان، حتى يطمئن عليها.. لقد تغيَّرت حياة أمير بالكامل، فقد اشترى قصرًا كبيرًا، وأصبح يمتلك أسطولًا من السيارات الفارهة.. والتي تقف أمام قصره كحبات الأرز المتناثرة.. ليس بحاجة لما يسمى بغسيل الأموال.. فأعضاء لويز يقومون بتجهيز وضعه الاجتماعي وسمعته وكل شيء..

***

تمر الأيام والليالي.. حتى يأتي ذلك اليوم.. والذي قرر أمير أن يخرج مع ريم.. بعد أن تنتهي من دوامها الجامعي، لأنه يريد أن يتحدث معها في موضوع مهم للغاية، لتذهب معه ريم في جولة بتلك السيارة الفارهة..

سألته ريم بعيون حائرة:

- جاوبني بصراحة يا أمير، كيف حصلت على ذلك المال الوفير، وأصبحت غنيًا في تلك الفترة البسيطة؟ فأمير الذي كنت أعرفه قديمًا.. تغير الآن وأصبح أميرًا آخر!

ظلّ أمير صامتًا لبعض الوقت وهو يفكر.. ثم أجابها:

- لقد أصبحت الآن أعمل في منصب كبير في شركة أدوية.. وبالطبع أصبح لدي راتبًا كبيرًا، كما أنني الآن أصبحت جاهزًا.

فسألته ريم متعجبة:

- جاهزٌ لماذا؟!

- بالتأكيد حتى أتقدَّم وأطلب يدكِ من أهلك..

بدَت ملامح الخجل على وجه ريم.. فأمسك أمير يدها وتابع:

- بالتأكيد فأنا أحبك جدًا.. وأتمنى أن تكوني شريكة حياتي، كل ما أنتظره فقط.. تخرجك من الجامعة، ثم بعدها فورًا سآتي راكضًا إلى بيتك.. وآخذك من أهلك وأخطتفك، لا تخافي مهما أصبحت غنيًا.. ومهما غيرت الدنيا من حالي.. فلن تغير من حبي لكِ ولو بمقدار ذرَّة.

ظلت ريم تستمع إليه وهي مبتسمة يملؤها الحياء، لا تعرف بمَ ترد؟ فقط ظلت مبتسمة.. حتى أوصلها أمير إلى ذلك القصر الفاخر.. الخضرة تملأ المكان.. طلب أمير من ريم النزول من السيارة.. أغمض عينيها بيده.. طلب منها التحرك بخطوات ثابتة إلى الأمام.. حتى طلب منها الوقوف عند نقطة معينة.. سألها قبل أن يسحب يديه من فوق عينها:

- ماذا تتوقعين أن تري الآن!

ظلت ريم تفكر لبعض الوقت.. ثم أجابت مترددة:

- لا أعلم يا أمير.. لابد أنه شيءٌ جميل.. فأنا لا أرى منك إلا كل جميل.

ابتسم أمير ساحبًا يده وهو يقول:

- حسنًا.. ما رأيك الآن؟

رأت ريم أمامها ذلك القصر العظيم، فغمرت عينيها السعادة.. ثم قالت:

- إنه قصر عظيم يا أمير.. ولكن لمن هذا القصر؟!

أجابها أمير ضاحكًا:

- بالتأكيد لنا.. لكن ليست هذه المفاجئة التي أجهزها.. التفتي للخف.. التفتت للخلف.. فوضعت يدها على فمها مصدومة.. فقد رأت ذلك الاسطبل الكبير، وذلك الحصان الذي يزين لون جلده الأسود وقليل من الأبيض..

سألته ريم سريعًا بدهشة:

- أمير! كيف علمت بهذا.. إنه هو نفسه!

رد أمير بثقة وهو يراقب عيني ريم:

- أعلم أنه هو.. لقد كنت من أسبوع في أحد سباقات الخيل.. رأيتك في تلك المقصورة مع أسرتك.. ربما كانت صدفة أم مدبَّرة.. لا أعلم ولا تسأليني.. ولكني كنت متواجدًا هناك.. راقبت عيناكِ التي لم تتحرك من على ذلك الحصان.. لم أستطع العودة إلا برفقته.. هذا كل ما بالموضوع.

دخل أمير إلى الاسطبل برفقة ريم.. وشبك بين يديه لأسفل يطلب من ريم الصعود قائلًا:

- ما رأيكِ أن نقوم بجولة فوق ذلك الحصان العربي الأصيل!

- هل هو من الخيل العربية الأصيلة يا أمير؟ لابد أنه كلفك الكثير! لمَ كل تلك المصاريف يا أمير!

ضحك أمير قليلًا بعد أن امتطى الحصان.. وريم تمسك به من الخلف.. ثم قال:

- أجل.. لقد كلفني الكثير.. ربما بضع الملايين.. ولكن لا يهم، فالغالي لا يقتني إلا الغالي.. والآن دعينا نطلق عليه اسمًا.. إنه هديتي لكِ في يوم زفافنا.. لذا اختاري له اسمًا أيتها الفارسة

ظلَّت ريم تفكر قليلاً.. حتى لمعت عيناها قائلة:

- بالطبع ستغضب إن أسميته أمير.. لذا ما رأيك بذلك اللقب.. الذي أخبرتني به سابقًا عن فريقك المفضل "يوفنتوس".. ذلك المصطلح الذي يعني الأبيض والأسود باللاتينية..

- تقصدين بيانكونيري؟

- أجل.. بيانكونير.. هذا هو الاسم.

واستمرا بالتنزه فوق ذلك الخيل الرشيق..

***

في المساء.. ذهب أمير مرة أخرى إلى صيدليته، فمهما غاب لابد وأن يعود إليها.. فهي الأساس.

نظر إلى الدكتور سالم قائلًا بحماس:

- هل تعلم يا دكتور سالم.. في بعض الأحيان.. أشعر بقوة كبيرة أمتلكها بين يدي.. أشعر أنني بالفعل من يحكم هذه البلاد.. الجميع يعمل تحت إمرتي.. لا أحد يستطيع مخالفة أوامري.. بإصبع واحد مني، أستطيع أن أبدل جميع تلك القوانين في الصباح.

رد عليه الدكتور سالم بهدوء وهو جالس على ذلك الكرسي.. يرتب رفوف الأدوية:

- أمير.. انظر يا بني.. القوة ليست أن تمتلك أقوى الأسلحة.. بل أن تستطيع أن تستخدم ذلك السلاح بمهارة.. القوة ليست أن تغير من قوانين هذا العالم.. القوة الحقيقية.. هي أن تعلم الوقت المناسب لكل قانون.. فالأسد لم يُسمى ملك الغابة عبثًا.. لقد لُقِّب بذلك اللقب، لأنه

يعلم الوقت المناسب الذي يهاجم فيه فريسته.. وقت الجوع فقط يا أمير.. وقت الجوع.

أجاب أمير منبهرًا:

- معك حق.. أهم شيء هو.. الوقت المناسب.

بينما يتناول أمير كوب الشاي.. ليلاحظ كمية كبيرة من أدوية البرد..

فيسأل أمير في حيرة:

- لمَ كل تلك الأدوية الخاصة بالبرد.. لازلنا في فصل الصيف.. بالتأكيد أنها طلبية خاطئة!

يضحك الدكتور سالم بحرارة ثم يقول:

- لا.. ليست طلبية خاطئة.. سنحتفظ بكل تلك الأدوية.. وإن كان لدي مخزن أكبر.. سأحضر المزيد منها.

نظر أمير له بدهشة، ثم سأله بشغف:

- حسنًا.. يبدو أنه درسٌ جديد.. هيا تفضل اشرح لي..

أجابه الدكتور سالم بصوتٍ هادئ:

- ليست كل الدروس مجانية.. ابحث عن قصة السبع العجاف وستتعلم كل شيء بنفسك.. بالمناسبة إنها قصة استراتيجية رائعة.. ستجدها في القرآن الكريم.. والآن هيا حتى لا تتأخر على الشركة في الصباح.

***

تمر الأيام.. سيارات كثيرة وثمينة تصطف أمام مقر مجموعة عيادات لايت.. المكان هادئ لا يوجد مندوبين ولا حتى مرضى.. جميع تلك السيارات تحمل نفس الطراز.. مشكلين دائرة تحيط بسيارة واحدة فقط مختلفة ومميزة.. نزل أحدهم من السيارات المرافقة راكضًا إلى السيارة

المميزة بالوسط.. انحنى قليلًا عند النافذة يأخذ بعض التعليمات.. بعد أن أخذ بعض الأوامر.. طلب من مجموعة مرافقته.. ومن البقية الانتظار وحراسة تلك الشخصية حتى يعود.. إنه بالكاد جيشٌ من المرافقين.. الكثير من الحرس يقفون بملابسهم العادية وزيهم الخليجي التقليدي.. لا وجود لأي نوع من الأسلحة.. بعد أن دخل ذلك الشخص برفقة بعض المرافقين.. طلب من السكرتيرة مقابلة المدير التنفيذي.. دخلت السكرتيرة سريعًا إلى المكتب قائلة:

- سيدي لقد وصلوا الآن وهم بالخارج.. وأحدهم يدَّعي أنه مدير مكتب سمو الشيخ سعيد..

خرجت السكرتيرة طالبة منهم الدخول.. دخل ذلك الشخص وسلَّم على المدير التنفيذي.. ثم جلس على ذلك الكرسي طالبًا من أحد المرافقين الوقوف.. ومشيرًا للآخرين بالانتظار خارجًا.. ثم نظر إلى المدير التنفيذي مبتسمًا وهو يقول:

- أهلا بك يا دكتور رمزي.. كيف حالك؟ أعرفك على نفسي في البداية.. أنا كامل، مدير مكتب سمو الشيخ والقائم بجميع أعماله.. هل قمت بتحضير كافة العقود والمستندات؟

رد الدكتور رمزي ممازحًا:

- أنا بخير.. بالتأكيد كل شئ جاهز.. ولكن أين سمو الشيخ.. لقد أخبرتني بالأمس أنه سيأتي ليشرفنا بأقدامه المباركة في هذا المكان.. إن حلم حياتي فقط أن أتشرف وأصافحه بيدي.

- لقد أتى بالفعل.. لكنه لا يحب الظهور.. لذا كلفني أنا بإنهاء الموضوع.. أريد أن أنبهك لنقطة مهمة.. سمو الشيخ لا يحب الانتظار كثيرًا.. لذا أرى أن ننتهي سريعًا حتى لا نعكر مزاج سموه.

ابتلع الدكتور رمزي ريقه.. وبدأ في إخراج الأوراق والمستندات قائلًا:

- حسنًا.. للأسف أنا حزين جدًا بأن يقوم مالك هذه العيادات ببيعها.. ولكن كما تعلم، لقد خسرنا خسارة فادحة بعد ذلك القانون الذي تم إقراره.. لا أعلم ماذا ستستفيدون من تلك العيادات الآن.. لم يعد أحد من المرضى يأتي إلينا.. لدرجة أن أعداد الأطباء أصبح أكثر من عدد المرضى.. تفضل قم بالتوقيع هنا.

أخرج كامل شيكًا وقدمه لرمزي قائلًا:

- يمكنك إرسال أحد الأشخاص إلى البنك الآن.. والتأكد من صحة هذا الشيك قبل أن أقوم بالتوقيع..

قام الدكتور رمزي بتصوير الشيك بالهاتف.. ثم أمسك بهاتفه يتصل بأحدهم:

- صباح الخير أستاذ عادل.. أرجو أن تتفحص من صحة ذلك الشيك لديكم الآن.. وأيضًا تفحص الأرصدة.. حسنًا لقد أرسلت لك الشيك الآن عبر "الواتساب".. حسنًا، سأتصل بك بعد قليل.. ولكن سريعًا يا عادل.

نظر الدكتور رمزي إلى كامل وهو يقول:

- اعذرني.. مع احترامي الشديد لسموه.. ولكن في الأمور المادية ذاتها كما تعلم.. يجب أن آخذ حذري.. فهذا المال لصاحب الشركة وليس لي.

- أبدًا أبدًا لا عليك.. فهذا حقك بالتأكيد..

- رنَّ هاتف الدكتور.. فأمسك هاتفه سريعًا يستمع، حتى ظهرت علامات الطمأنينة على وجهه.. ثم أنهى المكالمة وقال مبتسمًا:

- حسنًا.. يمكنني الآن التوقيع على العقد وإتمام الصفقة.

أمسك الدكتور بالقلم، وبدأ بالتوقيع على ذلك العقد هو أيضًا.. فجأة دخل أمير.. وجلس على الكرسي المقابل لكامل.. تعجَّبَ رمزي قائلًا:

- من أنت.. وكيف تدخل مكتبي هكذا دون إذن!

سلَّم مدير مكتب الشيخ فورًا على أمير قائلًا:

- دكتور أمير، كيف حالك؟ لقد تأخرت كثيرًا.

رد أمير بهدوء:

- اعذرني لقد انشغلت قليلًا.. وكنت بالأسفل أسلم على سموه.. فمن العيب أن أمر أمامه دون أن أسلم عليه.. هل تم التوقيع وانتهى كل شيء؟

أجابه كامل مبتسمًا، مناولًا إياه ذلك العقد:

- أجل.. لقد أصبحت المجموعة الآن ملكًا لنا بالمناصفة.. نصف لسمو الشيخ.. والنصف الآخر لشركة لويز كما اتفقنا.

- نظر رمزي الى أمير مصدومًا.

- هل أنت مدير شركة لويز التي..!

قاطعه أمير سريعًا:

- أجل.. التي منعت أدويتها من أن تكتب في مجموعتكم.. بل وتريد مقايضتنا واللعب معنا.. في الواقع لقد أغضبتني بتصرفك.. وكنت أستطيع أن أُلزمكم بكتابة أدويتنا بالدم.. ولكنني لا أتَّبع ذلك الأسلوب.. لذا قررت أن تُكتب تلك الأدوية برضاكم.. ما رأيك الآن!

لقد أصبحت المجموعة فعليًا تحت إدارتنا.. آه.. بالمناسبة.. لم يعد مكتبك من الآن، يمكنك أخذ أغراضك ومكافأتك من المالية.. والبحث من اليوم عن مكانٍ آخر.

بعد أن انتهى أمير، خرج من المكان ممسكًا هاتفه:

- صباح الخير.. كيف حالك يا أبو عيسى.. حسنًا.. طالما أن الجميع يتذمرون ويشتكون من ذلك القانون.. يمكنك أن تلغي ذلك القانون مرة أخرى، ولكن بعد شهرين من الآن.. بالتأكيد حتى لا يشك أحد.. نعم لقد انتهت الخطة.. ماذا عن الخطتَين اللتان أرسلتها لك؟ حسنًا.. ابدأ بهما لأبدأ بتنفيذ خطتي أنا أيضًا.. أراك لاحقًا.. مع السلامة.

***

مرت الشهور سريعًا.. أصبحت الصيدليات التي يفتتحها أمير في تزايد أكثر وأكثر.. حتى أصبحت تتمدد كجذور النباتات التي تمتد أفقيًا.. وصلت "صيدليات لويز" الآن لـ ١٤٥ صيدلية.. في المقابل قرر أمير ترك ريم فترة الامتحانات الجامعية قليلًا، حتى تهتم وتركز في امتحاناتها النهائية، لذا كان يخرج مع صديقه علي.. يتجولان بين المطاعم والمقاهي كعادتهما، وبينما هما يجلسان معًا بالمقهى المفضل لديهما؛ كان أمير يشرب قهوته المفضلة وهو يشاهد التلفاز، متابعًا مباراة الليلة.. إنها مباراة الإياب في ربع نهائي "دوري الأبطال".. ففريقه المفضل نادي "يوفنتوس" يواجه فريق صديقه علي المفضل نادي "ريال مدريد".. حتى انتهى الشوط الأول ٢/ صفر لـ "يوفينتوس"..

نظر علي منفعلًا إلى صديقه أمير قائلًا:

- صدقني يا صديقي لن تتأهلوا.. لقد فزنا عليكم في مباراة الذهاب ٣/ صفر، بالرغم من أنه ينقصكم هدف واحد.. ولكن كريستيانو سيسجل ويقصيكم كالعادة.. إنها سنة الحياة يا صديقي.

ضحك أمير ساخرًا، ثم قال:

- ذلك لأنه هناك من يتحكم بنتيجة المباراة.. فنحن المشاهدين نرى الأحداث عادية.. أما هؤلاء الأشخاص هم فعلًا من يتحكمون بالنتيجة.. حتى لو قمنا بتسجيل هدف.. سيقوم الحكم بإهدائكم ركلة جزاء.. حتى لو بالدقيقة الأخيرة، مهما كلفه الأمر.

- لماذا تقول هذا الكلام يا أمير؟ المباراة أمامنا وسترى كيف سنتأهل بشرف.

- إنه البيزنس يا علي.. فلو خرج ريال مدريد من السباق؛ سيكلفهم ذلك الكثير من الخسائر المالية.. هل تعتقد أنهم سيضحون بتلك الخسارة من أجل ركلة جزاء!

- من هم هؤلاء الذين تتحدث عنهم!

نظر أمير مبتسمًا بثقة وهو يقول:

- إنهم الأيـدي الخفية.

بدأ الشوط الثاني.. وبعد مضي ربع ساعة.. قام نادي "يوفينتوس" بتسجيل هدف ثالث.. لقد عادت الحياة لفريقه من جديد.. وبدأ الوقت يمضي.. حتى بدأ الوقت الإضافي يمر.

قال علي ساخرًا:

- لقد بدأ الوقت الإضافي والمباراة ستنتهي.. ولم نرَ حتى الآن ركلة الجزاء كما ادَّعى أحدهم!

فجأة يصيح المعلق في التلفاز متأثرًا بصوت مرتفع في آخر دقيقة للمباراة:

- ماذا يجري هنا.. كيف احتسبها الحكم ركلة جزاء.. لابد أن هناك خطأ.. اللاعبون يلتفون حول الحكم.. يا إلهي لقد أشهر البطاقة الحمراء في وجه الحارس بوفون.. يبدو أنه لا يريد من أحد أن يتناقش معه.. ماذا يحدث يا "يوفينتوس".. لابد أن هناك خطأ ما! سيقوم كريستيانو يتنفيذ الركلة.. هل سيسجل.. نعم.. نعم.. هدف.. هدااااااف.. انتهت المباراة بفوز "ريال مدريد".. ليتأهل للنصف النهائي في مباراة مثيرة للغاية!

حاول علي إخفاء وجهه بيده من الخجل..

فنظر اليه أمير مبتسمًا بسخرية قائلًا:

- هل تعتقد أن يقوم نادي "يوفينتوس" بشراء اللاعب كريستيانو في المستقبل!

- يبدو أن الخسارة أثرت عليك يا صديقي.. مستحيل أن يحدث هذا بالطبع.. فكريستيانو هو ريال مدريد.

ليلاحظا فجأة إعلانًا في التلفاز.. إنه المنتج الجديد، عقار "ليبروسكاي"، فقد أخذت الشركة الموافقه النهائية على طرحه بالصيدليات، ولم تنتظر "شركة لويز" لينزل السوق الدوائي، حتى تنشر له إعلانًا قبل طرحه في الدولة.

***

في اليوم التالي.. بينما يجلس أمير في مكتبه في الشركة.. تلقى اتصالًا من سلطان يتأكد منه عن وضع الشركة.

فأجابه أمير يطمئنه:

- لا تقلق.. لا وجود للمشاكل نهائيًا، فقد أنشأت إمبراطورية من الصيدليات.. منها من أُنشِئ حديثًا.. ومنها من قمنا بشرائها وضمِّها لنا.. حتى الآن ما يقرب المائة وخمسون صيدلية.. ولن أتوقف بالطبع عن التوسع، فجميعها تعمل وتجني أرباحًا طائلة، وقمت بتنفيذ كل ما قلته لي بالحرف الواحد، كما أنه كنت آمر جميع الصيادلة ببيع أدوية "شركة لويز" في مقدمة الأدوية الأخرى.. فالأولوية لمنتجاتنا دائمًا، مما ضاعف أرباح الشركة بمقاييس جنونية.

سأله سلطان متعجبًا:

- كيف استطعت توفير أجور الصيادلة بهذه السرعة.. فما تركته لك لن يكفيك!

ردَّ أمير بثقة:

- لقد حدثت أشياء كثيرة وأنت بالخارج.. عندما تعود سأخبرك بكل شيء.. لم أقم فقط بدفع أجور الصيادلة، بل قمت بضم مجموعة عيادات لايت لإمبراطوريتنا.. كل الأطباء الآن يكتبون أدويتنا فقط.. حتى العيادات الأخرى يقومون بالمثل.. فالمرضى أصبحوا لا يثقون إلا بمنتجاتنا.. بل ويرغمون جميع الأطباء على كتابة أدويتنا.

أجابه سلطان وهو في غاية السعادة:

- أحسنت يا أمير.. لقد أبهرتني حقًا.. كنت محل ثقة ولازلت.. أنتظر منك المزيد، أريد أن أبشرك أننا قمنا بأخذ الموافقه النهائية، وقمنا في نفس اليوم بتسويقه.. وعمل إعلانات كثيرة، ستصلك أول دفعة من الدواء مع شحنة حَمَد.. يجب أن تكون حذرًا حتى أعود، وعندما أعود سأخبرك بالخطوة التالية.. ثم أنهيا المكالمة.

***

مرت الأيام وعاد سلطان من الخارج.. ليدخل مكتبه في الشركة مبتهجًا.. وينادي على أمير بالمكتب المجاور له.. فيأتي أمير مسرعًا فرحًا..

ثم احتضنه وهو يسأله:

- سلطان هذا أنت! ولكن لماذا لم تخبرني بوقت قدومك.. على الأقل كي أستقبلك في المطار.

- لا تقلق يا أمير.. فأنا أدبر كل شئوني بنفسي.. أنت مازلت شابًا يافعًا، ويجب أن تأخذ مني كل خبرتي.. فأنت من سيرث منصبي هذا فيما بعد، يجب أن تتعلم كيف تدبر كل شئونك بنفسك، وتخطط بدقة متناهية.. ولا تدع مجالًا صغيرًا للخطأ أو الشك.. فكما ترى ولله الحمد.. خطتنا تسير كما خططنا لها تمامًا.

أخرج سلطان علبة دواء جديدة من جيبه، عليها شعار الشركة.. يبدو أن سلطان جلبها معه من هناك ليريها لأمير..

التقطها منه أمير وهو يتأملها قائلًا:

- لقد رأيتها بالتأكيد في تلك الشحنة.. يا للروعة، تصميمها جميل جدًا وبسيط، حتى الكبسولات تتميز بلونها البنفسجي.. مما يميزها عن الأدوية الأخرى.

فيكرر سلطان ما قاله أمير:

- مما يميزها عن الأدوية الأخرى.. أحسنت يا أمير، هذا بالضبط ما كنت أود سماعه منك، فهذا الدواء هو المستقبل.. وخطتنا التالية هي أن ينتشر في صيدلياتنا وصيدليات الدولة كلها.. بل العالم بأكمله.. بتلك الميزات

العلاجية الفريدة، سيأخذ وضعه بين الأدوية الأخرى، ثم بعد ذلك سنبدأ بخطتنا الثالثة والأخيرة.. والتي ستغير المستقبل.

ثم التفت إلى أمير وتابع قائلًا:

- ماذا بك يا صديقي.. ألن تريني تلك الصيدليات والعيادات والإمبراطورية التي أخبرتني عنها، أم سنظل نتحدث هنا طوال اليوم!

فأجابه أمير مبتسمًا:

- بالطبع سنقوم بجولة في كل الصيدليات الخاصة بنا، لأخذ رأيك فيها.

***

أثناء خروجهما من الشركة والذهاب لسيارة أمير، تفاجأ سلطان مشيرًا بإصبعه إلى إحدى السيارات أمامهم..

سائلًا أمير بدهشة:

- أهي سيارتك!

- بالطبع هي لي، هيا اركب لآخذك بجولة بها.. سنقوم بجولة سريعة على عيادات وصيدليات لويز.

ركب سلطان قائلًا:

- حقًا إنها جميلة.. أريد مثلها يا أمير، لتعتبرها مهمتك الجديدة.

وضحك بعدها. فضحك أمير هو أيضًا.

ليذهبا بعد ذلك إلى الصيدليات الأقرب منهم وفي طريقهم، وسلطان ينظر إلى الصيدليات ومواقعها المميزة.. وهو مسرور من ذلك الإنجاز العظيم الذي قام به أمير.

توقف أمير قليلًا وهو يقول:

- بقِيَت الآن آخر صيدلية.. وهي الخاصة بي أنا وشريكي، فبالرغم من بساطتها وتواضعها.. إلا أنها الأجمل في نظري.

نظر سلطان إلى ساعته باستياء قائلًا:

- لا عليك.. سنزورها لاحقًا.. الآن دعنا نرى تلك العيادات التي أخبرتني عنها.. يالها من فكرة عبقرية.. كيف قمت بشراء تلك العيادات؟ ألا تعلم من صاحبها! صاحب تلك العيادات يستطيع شراء مدينة كاملة بمن فيها!

ردَّ أمير بثقة:

- في الحقيقة فكرة الشراء جاءتني من شريكي.. أما صاحب تلك العيادات، فلم أعرض عليه شراء العيادات.. بل أجبرته أن يجد مشتريًا لتلك العيادات الخاسرة.. كل ما فعلته تعديل بسيط في القوانين.

قاطعه سلطان متحمسًا:

- بالطبع بواسطة أبو عيسى.. يالذلك العقل الرائع.. أين كنت مختفيًا عنا كل تلك الفترة! أكمل.

أكمل أمير مبتسمًا:

- أجل بالطبع بواسطة أبو عيسى.. وقمنا بالطبع بمشاركة أحد شيوخ العائلة الحاكمة.. مما سهل علينا أمورًا كثيرة.. أهمها إبعاد الشكوك عنَّا من الأجهزة الرقابية.

سأل سلطان متعجبًا:

- وماذا عن تلك الخسارة التي أخبرتني عنها.. كيف عوضت تلك الخسارة؟ وماذا بشأن أجور هؤلاء الصيادلة.. بل وهؤلاء الأطباء في العيادات الجديدة.. ألم يشكلوا عبئًا كبيرًا علينا! من أين أعطيتهم

أجورهم! غريب.. لم يشتكِ مسئولوا المالية في الشركة من عجزٍ أو ما شابه! أو ذلك الشيخ حتى لم يتخلص منك!

ضحك أمير قليلًا.. ثم تابع:

- يا رجل اصبر قليلًا.. أبو عيسى ساعدني كثيرًا.. ليس فقط في تلك الصفقة.. بل أيضًا في موضوع الأجور.. لقد قمت بإعداد خطتين محكمتين.. استفاد منها الجميع.. انخفضت أجور الأطباء والصيادلة للربع.. مما جعلنا نكسب مكاسب خيالية.. أيضًا ساعدت هؤلاء الذين يبحثون عن عمل.. ولا يستطيعون العمل في الدولة.. بسبب الرسوب في امتحان الرخصة!

قاطعه سلطان ضاحكًا بسخرية:

- لا تقل لي أيضًا أنك و أبو عيسى كنتما تقفان في الشارع.. وتوزعان تلك الرخصة على المارة!

ضحك أمير بحرارة.. ثم تابع:

- حسنًا يا سلطان.. أنت ماهر جدًا بالمزاح.. ولكن ليس هذا ما حدث بالتأكيد.. أول شيء، طلبت منه أن يقوم بتسهيل ذلك الامتحان، بل وساعدته أيضًا بتسهيله.. أخبرته أن يكرر الأسئلة.. ويسرب بعض الامتحانات.. لينجح بعد ذلك الجميع بسهولة.. أما الخطة الثانية.. أن يقوم بعمل ذلك الامتحان خارج الدولة في السفارات.. فينجح بعد ذلك أيضًا جميع الممتحنين بالخارج.. هل تعلم ماذا حدث بعد ذلك؟

رد سلطان منفعلًا:

- بالتأكيد سيبحثون عن عمل.. وستزيد أعدادهم أضعافًا.. ليقوم السوق بوضع رواتب جديدة تبعًا للعرض والطلب.. خطة جميلة جدًا..

أعجبتني الفكرة كثيرًا.. في غاية الذكاء والعبقرية.. ولكن ما فائدة الناجحين بالخارج.. ألا تعلم أن إجراءات الإقامة هذه الأيام صعبة!

رد أمير مبتسمًا بثقة:

- بالطبع لم يفُتني ذلك الشيء، تلك اللعبة تركتها لصديقي راشد.. فجميع من نوظفهم في الخارج.. نرسل أسماءهم إلى راشد.. وهو يتكفل بالباقي.

صفَّق سلطان منبهرًا وهو يقول:

- لقد سمعت كثيرًا عمَّن يضرب عصفورين بحجر.. ولكن اليوم.. أنا أجلس بجانب من ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد.. قمت بزيادة أعداد الحاصلين على الرخصة.. لتخلق لهم فرصًا وأحلامًا جديدة.. ساعدت هؤلاء الذين يحلمون بالسفر بتكاليف بسيطة.. والأهم بالطبع أرباح شركتنا التي سترتفع.. يالذلك العقل الخطير.

بعد ذلك وصلا أخيرًا إلى ذلك الصرح الضخم.. إنها "عيادات لويز الخاصة".. لينزلا بعد ذلك من السيارة ويقوما بزيارة سريعة للمكان.. المكان مزدحم جدًا بالمرضى.. فلا يوجد مكان حتى للسير داخل ذلك المبنى.

***

مرَّت الأسابيع.. وبدأ ذلك الدواء بالانتشار بشكل جنوني، ولكن لاحظ الأطباء شيئًا غريبًا جدًا.. فقد كانت الهدايا تنهمر عليهم بغزارة.. فقط لتشجيع ذلك المنتج الجديد، وما المانع من أن يأخذ الأطباء هدايا ورحلات سفر رائعة.. وفي المقابل يكتبون ذلك الدواء على حساب الأدوية الأخرى، فهو نظريًا وعمليًا دواءٌ ساحر ومفعوله الأفضل، فلم

يغشُّوا مرضاهم.. وفي نفس الوقت هم المستفيدين من تلك الهدايا الفاخرة التي يحصلون عليها.

لاحظت إدارة العديد من المستشفيات ووزارة الصحة.. كميات كبيرة في طلبات السوق المحلي لهذا الدواء، وبدأت واردات هذا الدواء بالانتشار.. وانتشرت بالفعل بشكل كبير في منطقة الخليج والشرق الأوسط.. بل وانتقلت من آسيا لأفريقيا وأوروبا على نفس الوتيرة، ولكن كل ما كان يهم تلك الشركة هي منطقة الخليج، فتلك المنطقة تعتبر من المناطق الأكثر أمانًا في العالم، فبالرغم من الموارد النفطية الكثيفة في تلك المنطقة، والأثرياء الذين يسكنون منطقة الخليج؛ إلا أن تلك المنطقة تكاد تكون خالية من المدمنين أو تجار المخدرات والمواد المخدرة، وذلك يرجع للقوانين الصارمة التي تتبعها تلك الدول، والعقوبات القويه لردع كل من يفكر أن يسلك طريق المخدرات.. والتي قد تصل لعقوبة الإعدام.. وإذا تعاطف القاضي؛ سيحكم بالترحيل من البلاد وعدم دخولها مرة أخرى.

مما دفع تلك الشركة لكي تستغل هذه النقاط، وتبدأ ذلك النشاط الجديد وتلك الفكرة الساحرة، فهم سيقلبون عالم المخدرات رأسًا على عقب بتلك الفكرة الجديدة والمجنونة.. والتي تتلخص بتقنين تناول المخدرات من خلال ذلك العقار الجديد، ولكن تُرى من يقف خلف تلك الشركة؟ ومن يرأس نشاطاتها في العالم كله؟ هل هم مجموعة من الأفراد أم هو فردٌ واحدٌ فقط؟ من يعمل تحت حسابهم؟ يبدو أنهم مجموعة خفية وقوية.. بل وتمتلك سلطات خارقة، قد تصل بهم لتغيير قوانين بلد معين إذا ما خالف ذلك القانون مصالحهم الشخصية، إنها ببساطة "عضوية لويز".

أصبح عقار الـ "ليبروسكاي".. من أكثر خمس أدوية مبيعًا في الخليج، ليكون ذلك الإنجاز هو الأعظم في تاريخ تلك الشركة، بدأت الآن مرحلة الخطة الثالثة.. وهم الشباب.. لذلك قامت الشركة بأسلوبها الخاص.. بالوصول للشباب وإعلامهم بوجود دواء في الصيدليات.. يعطي مفعولًا كالمخدرات تمامًا، فلا بأس بأن تكذب وتذهب لأي صيدلية.. وتخبره أن لدي ألم في منطقة ما وأريد دواء "ليبروسكاي".. ليعطيك إياه ذلك الصيدلي على الفور.

وبالفعل بدأ الشباب يتسارعون إلى تلك الصيدليات لاقتناء ذلك المخدر المقنن الرائع، فلا يوجد من يحرمهم من تلك اللذة.. ولا من يجرمهم على تلك الفعلة.. فالأمر قانوني تمامًا.. والدواء مصرح باستخدامه من منظمة الدواء والغذاء العالمية "FDA"، وبدأت الكميات المحددة بالدولة في النقصان، وأصبح هناك تجارٌ يتاجرون بذلك العقار في "السوق السوداء".. حتى أن بعضهم أسماه سوق الليبرو "ليبروماركت"، حتى وصل الأمر إلى أن الصيادلة ضعاف النفوس أصبحوا هم أيضًا يتاجرون بتلك العبوات خارج الصيدلية بأسعار أكبر، لجني الربح الأكبر بالتأكيد، حتى نفذت كل الكميات الموجودة بالدولة، فتوقفت الدولة بعد ذلك عن استيراد ذلك العقار المريب بشكل مؤقت.. حتى تقوم بعمل دراسة حول ما حدث خلال تلك الفترة!

السبع العجاف

لم يبقَ إلا أيامًا قليلة وتتخرج ريم من الجامعة، وتأخذ شهادتها من كلية الحقوق.. وعندما انتهت ريم من اختباراتها النهائية، أخبرها أمير عن نيته هو ووالديه للقدوم لمنزلهم، كي يخطب ريم رسميًا، وطلب من ريم بأن تحضر رقم والدتها.. لكي تتحدث والدته معها وترتب كل شيء، فأعطته ريم رقم والدتها وهي في قمة الفرح.

وانتظرت ريم بعد ذلك تلك اللحظة بلهفة كبيرة.. حتى رن جرس الهاتف، أحضرت ريم الهاتف سريعًا بنفسها لوالدتها.. والتي كانت منشغلة قليلًا بأعمال المنزل..

ثم ناولته لوالدتها وهي تقول:

- إنه رقم غريب.. أجيبي يا أمي، فقد يكون شيئًا مهمًا أو ما شابه!

أخذت الأم الهاتف وبدأت بالتحدث، بينما ذهبت ريم إلى غرفتها سريعًا وهي تتنصت من خلف الجدار.. تتخيل ما يدور في تلك المكالمة، ذهبت إليها والدتها بعد أن أنهت المكالمة.. مبتسمةً وتضمها.. وتخبرها أنهم سيأتون غدًا في تمام الساعة السابعة.

فسألتها ريم باستنكار:

- من تقصيدين يا أمي؟

أجابتها أمها ضاحكة وهي تضمها:

- الذي أعطيته رقمي حتى تحدثني والدته، طالما أنكِ موافقة وتحبينه.. سأرتب كل شيء مع والدك يا حبيبتي الصغيرة، ولكن علينا أنا ووالدك أن نتعرف على تلك الأسرة أكثر وأكثر، ثم نقرر بعد ذلك.

ذهبت بعد ذلك والدة ريم لتخبر أبو ريم وهي مبتسمة:

- هل علمت ما حدث يا أحمد.. هناك من سيأتي بالغد ليخطب ابنتنا ريم.

ناداها والدها واحتضنها باكيًا:

- ها أنتِ يا صغيرتي المدللة، لم تعودي صغيرتي الآن، لقد كبرتِ.. وجاء اليوم الذي ستصبحين فيه أجمل عروس.

***

في اليوم التالي.. بدأ أمير يستعد ويلبس أجمل ثيابه وهو سعيد.. فأخيرًا سيرتبط رسميًا بفتاته وحبيبته.. طالما كان ينتظر تلك اللحظة حتى أتت.. ليأخذ والديه ويذهب إلى منزل ريم، ولكنه لم ينسَ أن يأخذ ذلك الحصان بيانكونير معه.. وبعد أن وصل أمير بصحبة والديه ممسكًا بالحصان.. ثم دق الجرس.

ففتحت أخت ريم الصغيرة الباب ونادت بصوتٍ عالٍ:

- لقد وصلوا يا أبي.. ومعهم حصان جميل بالخارج!

استقبلهم الأب بالترحاب وضيَّفهم.. كما رحبت والدة ريم بوالدة أمير، واتفقوا جميعًا.. وتم إعلان خطبة أمير وريم في تلك الليلة.. وامتلأ البيت بالفرح والأغاني والرقص.

تحدث أبو ريم وهو يقول:

- من حسن حظك يا بُني.. أن ريم درست بالخارج وهي صغيرة.. لذا لن تجدنا نتقيد كثيرًا بتلك العادات القبلية الصارمة الموجودة هنا.. ومن ضمنها عدم الزواج بالأجانب.

رد أمير قائلًا بابتسامة:

- الحمدلله على ذلك.. وبيانكونير هو هديتي اليوم لريم.

رد أبو ريم متعجبًا:

- ما هذا الشيء الذي يسمى بيانكونير؟

- إنه ذلك الحصان الأصيل الذي يقف خارجًا يا عمي.

- ولكن يا بني.. نحن لا نستطيع الاعتناء به هنا.. صحيح أننا نمتلك مساحة خالية له.. ولكن من سيعتني به.. حصان عربي أصيل كهذا كنز حقيقي.. ويحتاج إلى رعاية خاصة، اسألني أنا.. فدائمًا ما أصطحب العائلة لسباق الخيل شهريًا.. ولدي شغف بتلك الأمور.

- لا تقلق يا عمي.. سأقوم ببناء اسطبل خاص في تلك المساحة.. من بعد إذنك طبعا.. وسيأتي ذلك العامل الذي يعتني به يوميًا.. وأنا سأتكفل بكل شيء.. أتمنى فقط أن تقبلوا تلك الهدية البسيطة.

- حسناً يا بني لا أستطيع أن أرفض هديتك.. طالما ريم موافقة، فلا مانع لدي.

نظر أمير إلى أبو ريم خجلًا وهو يقول:

- عمي.. في الحقيقة.. امم..

- ماذا بك! تفضل يا بني.

- في الحقيقة.. يوجد سباق للخيل في الغد، وقد قمت بتسجيل بيانكونير في ذلك السباق، وبصراحة.. أريد اصطحاب ريم معي غدًا.

- حسنًا.. لا مانع عندي إن وافقت هي.. ولكن بشرط، أن تذهب أختها الصغيرة معكما.. فكما تعلم أنتما الآن مازلتما.. بالطبع تفهمني!

- بالتأكيد يا عمي.. سأصطحبهما إذًا في الغد لنحضر ذلك السباق.

***

في اليوم التالي.. ذهب أمير إلى الشركة ودخل بعد ذلك مكتبه.. دخل عليه سلطان ومد يده ليصافحه.. فلاحظ ذلك الخاتم في إصبع أمير..

نظر إليه سلطان مبتسمًا بدهشة:

- ما هذا يا رجل!.. مبروك.. ألف مبروك، متى تزوجت يا صديقي، كيف لم تخبرني بذلك؟

- لا تبالغ يا سلطان.. إنها مجرد خطبة وقد تمت بالأمس، وبالتأكد حينما أقرر الزواج.. ستكون أول المدعوين إلى حفل زفافي.

أمسك سلطان هاتفه سريعًا يتصل بأحدهم:

- أحضر كل الحلوى الموجودة بالمحل.. وقم بتوزيعها اليوم على كل الشركة والصيدليات والعيادات.. وذلك بمناسبة خطبة الدكتور أمير.

شكره أمير على ذلك.. ثم أحضر سلطان بعض الأوراق من مكتب السكرتيرة.. وعلى وجهه علامات الضيق والقلق..

قال لأمير وهو حزين:

- في الحقيقة لا أريد أن أفسد تلك الفرحة، ولكن بالفعل لدينا مشكلة كبيرة.. بل مصيبة، لم أمر في حياتي كلها بمشكلة بهذا الحجم.. ولم أضع توقعًا واحدًا بأن يحدث ذلك في يومٍ من الأيام.. ربما لأنه جديدٌ علينا!!

بينما يجلس أمير على مكتبه، نظر إلى سلطان متعجبًا وهو يشرب فنجان القهوة.. ويتناول بعض التمرات على طريقة العرب وهو يقول:

- أكمل ما المشكلة؟ أنا أسمعك..

أخبره سلطان باستياء:

- كمية "ليبروسكاي" قد نفذت بالكامل من جميع الصيدليات.. سواء التي نمتلكها أو الصيدليات الأخرى، حتى في السوق السوداء، ولكن ليست هذه المشكلة الكبيرة بعد!

سأله أمير غير مبالٍ:

هل يوجد ما هو أفظع من ذلك؟!

تكلم سلطان بغضبٍ شديدٍ منفعلًا:

- انتبه معي قليلًا يا أمير من فضلك.. فهناك دعوى قضائية كبيرة.. تتهم فيها الشركات الأخرى شركتنا.. بأنها تنتج أدوية وعقاقير تضر المجتمع، ولكن رجالنا الذين يعملون في المجال القضائي سيهتمون بهذا الموضوع، والإيقاف المؤقت من استيراد ذلك الدواء سنقوم بإزالته.. ولكنه سيأخذ القليل من الوقت.. المشكلة الآن.. ماذا سنفعل؟.. وكيف سنوفر "ليبروسكاي" مرة أخرى؟ فهو مطلوب بشدة!

أشار أمير بيده لسلطان طالبًا منه الجلوس.. ثم اتصل بالسكرتيرة وطلب منها فنجانين من القهوة..

ثم أشار بيده لسلطان يسأله:

- قهوة عربية كالبدو مثلي.. أليس كذلك!

انفعل سلطان غاضبًا أكثر:

- لقد أصبحت بارد الأعصاب يا أمير، هل ترى الوقت مناسبًا لتناول القهوة! يبدو أنك لم تهنأ بالنوم ليلة البارحة.. وستجعلني أفقد أعصابي اليوم!

ابتسم أمير محاولًا المزاح وهو يقول:

- بل سنأكل الحلوى أيضًا التي طلبتها أنت منذ قليل.. انتظر قبل أن يحدث لك مكروه واسمعني الآن.. فأثناء تأسيسي لتلك الصيدليات والعيادات.. وتشييد تلك الإمبراطورية الكبيرة، تذكرت نصيحتك لي بأنني يجب عليّ أن أحسب كل شيء بدقة متناهية.. ولا أدع مجالًا أبدًا للخطأ.

قاطعه سلطان بحيرة:

- كيف تنبأت بأن ذلك قد يحدث.. في حين أنني أنا لم أتنبأ بحدوث ذلك أبدًا.. وحتى لو تنبأت ما هي خطتك؟

تابع أمير مبتسمًا.. ثم أخرج شيئاً من المكتب، أمسك بالقرآن الكريم وهو يقول:

- هل ترى هذا الكتاب.. إذا تمعنًا فيه بدقه.. نستطيع التنبؤ بكل شيء.. هل قرأت عن قصة "السبع العجاف"؟

تعجَّب سلطان مندهشًا.. ثم قال:

- وما دخل تلك القصة بعملنا!

ضحك أمير قليلًا ثم تابع:

- بعد قراءتي لتلك القصة.. تعلمت أن كل فترة عظيمة يأتي بعدها القحط ويعم في كل مكان.. بعد أن قرأت تلك القصة.. كنت محظوظًا بالفعل ولم أتعب بالحل.. فالحل كان موجودًا أيضًا.. لذلك قمت بشراء بعض الأراضي الخالية والبعيدة في الصحراء.. الرمال الصفراء تملأ تلك الأراضي والتي تفقدها قيمتها.. لذا لم أتكلف كثيرًا.. ثم قمت ببناء مخازن تحت الأرض.. بمساحات كبيرة وواسعة.. وقمت بتجهيزها بدرجات حرارة.. تناسب البيئة التي تحفظ أي دواء أقوم بتخزينه، وعندما كانت

تأتي أي شحنة.. كنت أخصص عشرها بالتخزين في تلك المخازن.. حتى امتلأت جميعها.

تملَّك الصمت سلطان قليلًا في محاولة لاستيعاب ما قاله أمير.. محركًا أصابعه فوق ذقنه وهو يفكر..

ثم رد قائلًا:

- يا لك من داهية يا أمير.. لم أتوقع تلك الفكرة العبقرية أبدًا، لقد أصبحت أستاذًا، وأنا من أتعلم منك الآن، هيا بنا نأخذ جزءًا من تلك الأدوية ونبيعها في صيدلياتنا.. إلى أن تأتي تلك الشحنة الجديدة.. بعد إزالة الحظر المؤقت من استيرادها.

قاطعه أمير بحذر:

- ولكن إذا قمنا بعمل ما تقوله يا سلطان؛ سنواجه مشكلة أكبر، فكيف نقوم ببيع أدوية قد حُظرت بشكلٍ مؤقت.. كما أن جميع الكميات الموجودة بالدولة قد انتهت، لو فعلنا ذلك سيشك الجميع.. وستبدأ الجهات القضائية بملاحقتنا أكثر.. وقد تغلق صيدلياتنا أيضًا.

رد سلطان باستياء:

- طالما أنك تعلم ذلك.. فلماذا قمت بإنشاء تلك المخازن إذًا!

أجابه أمير مبتسمًا:

- بالتأكيد حتى نبيع "ليبروسكاي".. ولكن بطريقة جديدة ومختلفة، في الحقيقة كان ذلك السؤال كثيرًا ما يراودني.. ولكني استعنت برأي راشد في هذا الموضوع.

- ماذا قال لك هذا اللئيم الماكر الذكي؟

- هذه المرة لن نسوقها في صيدلياتنا، سنقوم بتسويق تلك الكميات في السوق السوداء، لنربح النقاط التالية، أولًا: سيكون بضعف سعره.. وبالتالي نعوض خسارتنا، ثانيًا: ننعش السوق المتعطش مرة أخرى، وثالثًا: عندما يقومون بشرائه بذلك السعر الكبير.. وإلى أن يتم إزالة الحظر وإعادة استيراده بشكل رسمي مرة أخرى، سيقوم جميع الناس بسحبه بكميات ضخمة بسعره الأصلي.. تخوفًا من أن يختفي مرة أخرى.

نظر إليه سلطان وهو في سعادة بالغة قائلًا:

- سأخبرهم في الإدارة المركزية بكل ما حدث، فما فعلته يجب أن تكافأ عليه، ما رأيك بأن نخرج في الليل؟

رد أمير متأسفًا:

- اعذرني هذه الليلة، لأن هناك شخصٌ ينتظرني وعليَّ مقابلته.. وإلا سأواجه مشكلة كبيرة.

نظر سلطان إلى خاتم أمير غامزًا.. ثم قام بمناولة أمير حقنة بداخلها مادة غريبة.

ثم أخبره وهو يغمزه بعينه:

- اها.. لا عليك لقد فهمت، خذ تلك الحقنة المنشطة.. ستفيدك كثيرًا اليوم.

رد أمير غاضبًا:

- رجاءً يا سلطان، لا أحب ذلك النوع من المزاح.. لقد أخبرتك أنني لم أتزوج.. وحتى إن تزوجت لا أحتاج إلى هذه الأشياء.

ضحك سلطان بشدة.. ثم قال بصوتٍ جاد:

- ومن قال أنها لك! إنها لبيانكونير.. ألا تريد أن تراه فائزًا في سباق اليوم؟ ان احتجت لشيء فقط أبلغني.

نظر إليه أمير مبتسمًا وهو يقول:

- لن تتغير.. ستظل تراقب حتى تحركات النملة التي تدخل شركتنا.

- بعد أن أبقيتما ذلك السر عني أنت وراشد.. ربما اقترب موعد تقاعدي!

دُق باب الغرفة.. ثم دخل ذلك الشخص الذي طلب منه سلطان إحضار الحلوى.. وبدأ الجميع بالاحتفال في بهجة وسرور.

***

لم يتبقَ إلا دقائق قليلة حتى يبدأ السباق.. كان أمير ينتظر تلك اللحظة بشغف.. جميع الخيول تصطف عند نقطة البداية.. حتى سمع الجميع صوت مسدس الانطلاق.. وبدأت جميع الخيول بالانطلاق سريعًا.. كان الحماس يسيطر على أمير كثيرًا.. فلا يريد أن يخيب ظن ريم بذلك الخيل.. مر الوقت سريعًا حتى انتهى السباق بفوز بيانكونير.

وفي الليل أثناء عودتهم.. استغل أمير تلك اللحظة.. وقام بعمل جولة كبيرة بسيارته حول المدينة.. ليعلمها قليلًا بالصيدليات التي أشرف على إنشائها.. والعيادات التي انضمت للشركة مؤخرًا.

تعجبت ريم وسألته:

- كيف قمت بذلك وأنت لا تملك الخبرة اللازمة؟!

- لقد تعلمت كل ذلك.. من أول صيدلية أنشأتها بمشاركة ذلك العجوز.. ذلك الشخص لديه الكثير من الخبرة، بالمناسبة.. دعينا نذهب إليه لأعرفك عليه.

***

اصطحبها أمير إلى تلك الصيدلية، وعرَّفها على الدكتور سالم..

ثم أشار أمير باتجاه الدكتور سالم وهو يخبرها:

- ذلك العجوز هو حقًا من علمني كل شيء، إن طلبتِ أي دواء أو مستحضرات طبية؛ فقط تعالي إلى هنا وخذي ما شئتِ.. ستستفيدين كثيرًا من خبرة ذلك الرجل.

سأله الدكتور سالم:

- هل عرفت فك اللغز الأخير؟

ضحك أمير وهو يجيبه:

- بالتأكيد.. لقد كنت تخزن أدوية البرد في الصيف.. لأن الشتاء عندما يأتي.. لن تجد تلك الأدوية في الشركات.. بسبب كثرة السحب والطلب عليها.. لذا أنت تخزن من الآن ما يكفيك في الشتاء.. إنها قصة رائعة.. "السبع العجاف".

ضحك الدكتور سالم قائلًا:

- أحسنت.. إنها حقًا السبع العجاف.

ثم بعد ذلك اصطحب ريم وأختها الصغيرة إلى بيتها.

وأثناء الطريق سألها:

- هل قررتِ العمل بعد التخرج أم لا؟ وإذا قررتِ فعلًا العمل.. ما هو المكان الذي تحلمين بالعمل فيه؟

- بالتأكيد أريد أن أعمل، وأنت يجب عليك أن تتقبل ذلك.

ثم ظلت تفكر قليلًا.. وقالت وهي تمازح أمير:

أريد أن أعمل في جهاز أمن الدولة..

ضحك أمير قائلًا:

- أمن الدولة مرة واحدة، حسنًا.. إن كان هذا طلبك فعلًا؛ اعتبريه قد نُفذ.

نظرت إليه ريم باستغرابٍ شديد:

- هل تمزح يا أمير، بهذه السهولة، أنت حتى لا تملك أي أقارب هناك.. حتى أنك لست من مواطني هذه الدولة، فكيف ستساعدني في ذلك!

- هناك أشياء لن تفهميها الآن.. فمازلتِ صغيرة أيتها الأميرة المشاكسة، لدي شيء لا يملكه أي أحد.. فكل ما أريده سيتحقق.. ولن يقف أحد في طريقي.

ثم قال لها قبل أن تنزل من السيارة:

- سيأتي ذلك اليوم لتكوني أميرة القصر الذي أملكه.

خجلت ريم قليلًا ثم نزلت بعد ذلك هي وأختها من السيارة وودّعته.

***

في صباح اليوم التالي.. ذهب أمير بصحبة سلطان ليريه ذلك المخزن الكبير الذي أخبره عنه، وبينما يقود أمير السيارة.. دخل إلى محطة الوقود التي تتوسط الصحراء.. توقف أمير بسيارته لتعبئة الوقود.. ثم دخل هو وسلطان إلى داخل المتجر الملحق بالمحطة..

أخذ سلطان علبة من العصير وهو يقول بعجل:

- هيا يا أمير استعجل قليلًا.. دعنا لا نتأخر عن عملنا.

ضحك أمير قائلًا:

- حسنًا اتبعني من فضلك.

تبعه سلطان حتى وصلا إلى غرفة المدير.. ففتح أمير ذلك المخبأ السري الموجود بالأسفل.. لينزل هو وسلطان بذلك الدرج الكبير إلى الأسفل.. ويتفاجأ سلطان بذلك المخزن الكبير والضخم.. إنه صرح كبير تحت الصحراء.. فلا يمكن لأحد أن يصل إلى هناك.. كما يوجد الكثير من العمال وكاميرات المراقبة بالخارج.. إنها حقًا مملكة كاملة موجودة تحت الأرض.. ولا أحد يعلم عنها شيء!

سأله سلطان وهو يتفحص المكان:

- ولكن من أين أتتك تلك الفكرة الذكية؟

ضحك أمير قليلًا وأجابه:

- عندما كنت صغيرًا.. وأنا جالس خلف والدي في السيارة.. كنت أستمتع كثيرًا عندما أرى شاحنات النفط.. وهي تعبئ الصهاريج الموجودة تحت الأرض.. إلى أن أتتني تلك الفكرة.. فتلك المحطة يوجد بها أربعة صهاريج.. ثلاثة لتخزين البترول.. وواحد موصل بأنبوب ممتد إلى هنا.. وبالتأكيد لن يشك أحد، لأن الأدوية موجودة داخل شاحنة النفط.. وأيضًا لم أسمع طيلة حياتي أن شرطيًا قام بتفحص شاحنة نفط.. ربما لأنها مواد بترولية.. وقد تنفجر إذا تعرضت لحرارة الشمس الحارقة هنا في الخليج.

نظر إليه سلطان منبهرًا.. يدق الأرض بقدميه محركًا يده منتصرًا ثم قال:

- لا أعرف ماذا أقول.. لا أعرف بماذا أصفك.. يا إلهي.. وكيف قمت بتشييد ذلك المكان دون أن يعلم أحد؟ إنها حقًا مشكلة كبيرة بالفعل إن علم أحد بذلك!

أجابه أمير بثقة:

- بالتأكيد كلامك صحيح، ببساطة استخدمت عضوية لويز.. فاتصلت بصيدقي راشد.. بالمناسبة نسيت أن أخبرك.. ألم تبارك له.. لقد تمت ترقيته.. وأصبح الآن في منصب حساس للغاية في ذلك الجهاز.

- أعلم ذلك.. ولابد أنه قام بمساعدتك كثيرًا.

رد أمير بغرور:

- ليس كثيرًا جدًا.. أخبرته فقط أنني لا أريد أن يزور ذلك المكان أي أحد لأي سببٍ كان، وطلبت منه منع مرور أي طائرات بالأعلى هنا لدواعي أمنية.. وبعض هؤلاء العمال.. كانوا يتناوبون بحراسة المكان من مسافات بعيدة.. خشية أن يمر أحدٌ من البدو بالصدفة.. حتى انتهيت من تشييد ذلك المخزن الضخم بالأسفل، وأخذنا الموافقة من البلدية بمد الشارع الرئيسي الجديد بالمحطة.. وما أن انتهيت من كل شيء، حتى قمت بتشغيل جميع من قاموا بالإنشاء.. ليعملوا في ذلك المخزن والمحطة أيضًا برواتب أفضل.. فوافق الجميع، وهكذا لن يعلم أحد بأي شيء، حتى المهندس المشرف عن المشروع، أصبح يعمل معنا ويساعدنا في تصميم وإنشاء الصيدليات الأخرى.. لقد أخبرتهم جميعًا أنه لو علم أحد بذلك.. فحياتهم ستكون الثمن، فظل موضوع المخزن سرًّا كما ترى..

انبهر سلطان مما سمعه قائلًا:

- كل يوم تثبت لي فيه أنك الأفضل.. دع موضوع الأمان في هذا المخزن لي.. تهديدك لم يعجبني.. أنا سأتصرف.. وهذا المخزن سنملؤه بالكامل قريبًا بذلك الدواء.

فسأله أمير متعجبًا:

- ولكن كيف ذلك؟!

ردّ سلطان منتبهًا بعد أن كان شاردًا قليلًا:

- هاا.. الآن جاء دوري لأعلمك.. ما يميز منطقة الخليج بالكامل.. أنها تطل على الخليج والبحار، لن نجد صعوبة بإدخال وتهريب كمية كبيرة.. ولكن على فترات متناوبة.. لكي لا نفقدها مرة واحدة وفي حال إذا انكشفت الخطة، حتى لو تم فك الحظر عن "ليبروسكاي".. يجب ألا يقف السوق السوداء الخاص بنا، فلدي معلومات أن هذا الدواء سيتم وضعة ضمن الأدوية المراقَبَة.. مما سيصعب قليلًا طريقة الحصول عليه في الصيدليات بدون وصفة طبية.. لذا يجب أن نهتم بالسوق السوداء في المرحلة المقبلة، سنجعل الناس يتناولون الـ "ليبروسكاي" أكثر من الماء!

أثناء حديثهما.. بدأ العمال بنقل البضائع من المخزن إلى الشاحنات.. وبدأت الشاحنات بالتحرك.. ليتم تسليمها فيما بعد لتجار السوق السوداء.. وينتعش السوق مرة أخرى بذلك المخدر المخيف..

ثم نظر أمير إلى سلطان قائلًا:

- أريد منك خدمة بسيطة يا سلطان.

نظر إليه سلطان متعجبًا:

- يا إلهي! تُرى ما هذا الطلب الصعب الذي يقف عائقًا في وجه أمير.. فبعد كل ما فعله هذا.. ولا يستطيع تنفيذ شيء بعده، تفضل.. دعنا نرى ما هو هذا الطلب!

- أريد أن تعمل ريم في أمن الدولة يا سلطان..

ضحك سلطان بشده لبعض الوقت.. ثم قال:

- بالتأكيد أنت تمزح.. هل جننت يا أمير! كيف يمكنني أن أتوسط في ذلك.. حتى أنها لازالت خريجة جديدة، وأنت تعلم أن هذا المكان لا يعمل فيه أي أحد!

بدأ أمير يتحدث بنبرات جادة:

- أنا علي يقين أن لديك اتصالات بالأمراء والشيوخ هنا.. وتستطيع فعل ذلك بمكالمة واحدة.

- حتى لو كنت أستطيع يا أمير.. لأمور أمنية في الشركة لن أفعل..

- اعتبر أن هذا الطلب آخر طلب لي.. أو اعتبره مكافئة لي عما فعلته!

ظلّ سلطان يفكر قليلًا وعيونه تراقب أمير.. ثم أمسك بكتفيه قائلًا:

- اسمع يا أمير من تجارب من سبقوك.. نقطة ضعف أي رجل في العالم هي زوجته وأبناؤه.. إن فقدت السيطرة يا أمير.. ستكون العواقب وخيمة!

لاحظ علامات الحزن على وجه أمير فتابع سريعًا:

- حسنًا سأحاول، ولكن لا تعتبره وعدًا، سأفعل ما بوسعي.. ولكن هذا آخر طلب يخص الأهل أو الأقارب.. هيا عد بتلك الابتسامة من جديد.

نظر اليه أمير بابتسامة وثقة وهو يقول:

- أعلم أنك إذا فعلت ما بوسعك.. فسوف يحدث.

***

بعد عدة شهور.. وبعد أن بدأت الكميات القديمة تنفذ من المخازن السرية، وسط علامات استفهام كبيرة من الشركات المنافسة والصيادلة والأطباء ووزارة الصحة، فلا يعلم أحد كيف توفر ذلك الدواء بهذه الكمية الكبيرة في السوق السوداء.. وذلك بعد الحظر المطبق عليه..

وأيضًا نفاذ جميع الكميات من الصيدليات والمستشفيات، بل بعد ذلك بدأ "ليبروسكاي" بالدخول مرة أخرى للبلاد.. ولكن هذه المرة مهربًا للمخازن الخاصة بهم تحت الأرض، وفي أحد الأيام ذهب أمير مهرولًا إلى مكتب سلطان بالشركة.. ليخبره أن هناك شحنة جديدة انكشفت.. وتم الاستيلاء عليها والقبض على السائق من مفتش الجمارك والشرطة.

أخبره سلطان بهدوء شديد:

- لا تقلق سأتصرف الآن.

أمسك سلطان هاتفه واتصل بسرعة بأحدهم.. وأمره بقتل المفتش وسائق الشاحنة.

ثم اتصل سلطان مرة أخرى بمسئول كبير في التفتيش والموانئ وتكلم معه:

- أين الرجل الخاص بنا.. لماذا لم تخبرني أنه قد سافر.. هذه المرة سأكتفي بتحذيرك، المرة المقبلة سيأتيك خبر تقاعدك وإحالتك للمعاش.

اندهش أمير مما فعلة سلطان وردّة فعله السريعة.. فلم يفكر حتى لحظة واحدة بما سيفلعه، بل فعل كل ذلك على الفور.. وكأنه يعلم بما حدث من قبل أن يحدث!

نظر إليه سلطان قائلًا:

- مسؤولٌ فاشل.. ولا يجيد إلا اللعب بهاتفه في مكتبه.. ليضيع علينا بضاعة ضخمه بسبب استهتاره، ويتسبب بقتل ذلك السائق المسكين.. والمفتش الذي ليس له ذنب.

سأله أمير متعجبًا:

- لماذا لم تأمر بقتل المسئول أيضًا كما أمرت بقتل السائق والمفتش؟

أجابه سلطان بكل حكمة:

- هل تعلم ماذا يحدث إن مات الوزير في لعبة الشطرنج؟

رد أمير سريعًا:

- بالتأكيد لن يكون هناك فائدة للعبة.. وستنتهي بالخسارة.

أكمل سلطان بنفس الوتيرة:

- من الصعب جدًا الوصول إلى هؤلاء المسئولين وضمهم لنا وإعطائهم "عضوية لويز"، أما السائقين والمفتشين فما أكثرهم.. إنهم يشبهون الجنود في لعبة الشطرنج.. فلا داعي لأن تقلق إذا مات سائق اليوم.. سيأتي في الغد مائة يحلون مكانه.

ثم تابع سلطان:

- بالمناسبة.. لقد فرحت الإدارة المركزية بالخارج بك كثيرًا.. وقرروا إعطاءك تأشيرة سفر إلى الولايات المتحدة، حيث يوجد المقر الرئيسي للشركة هناك، وقد جلبت لك تذكرة السفر.. تفضل خذها وجهز نفسك الليلة.. لأنك ستسافر في صباح الغد، وقد طلبوا حضورك شخصيًا.. حتى تعطيهم فكرة عما فعلت هنا، فهم يريدون تطبيق تلك الفكرة في دولٍ أخرى.. وقد رشحتك بالتأكيد لأنك صاحب تلك الفكرة.

رد أمير مترددًا وهو يأخذ تأشيرة السفر:

- أنا.. ولكني لم.. لم أجهز نفسي للسفر، لماذا لم تخبرني قبلها بفترة يا سلطان؟

حاول سلطان تشجيعه قائلًا:

- ماذا بك يا رجل، لن تقوم بتجهيز أي شيء، فكل شيء جاهزٌ تمامًا.. حتى الفندق الذي ستنزل فيه.. كل شيء قد أعدوه لك، حتى أنهم

استأجروا سيارة.. تشبه السيارة التي تستعملها هنا، لكي لا تشعر أبدًا بالتغيير، ثم إنهما يومان اثنان فقط يا أمير، ستعطيهم تلك الفكرة سريعًا.. وتعود مجددًا.

أجاب أمير باستياء:

- لا بأس.. أنا جاهز.

أخبره سلطان مبتسمًا:

- عظيم.. هناك شيءٌ آخر كنت قد طلبته مني.

فأجابه أمير سريعًا متحمسًا:

- الوظيفة!

رد سلطان وهو يضحك:

- أجل.. ستتصل بك ريم بعد قليل.. لتبلغك بما جرى معها في المقابلة.

ابتسم أمير وشكر سلطان.. فقد قام بتلبية ذلك الطلب الذي كانت ريم تحلم به.. وظل يتخيل كيف ستكون ردة فعلها.. وماذا ستقول له عندما تتصل به؟

***

في المساء.. بدأ أمير بتجهيز أغراضه ووضعها بشنطة سفره.

اتصلت ريم وسألته:

- ماذا تفعل الآن يا أمير.. هل أنت مشغول؟

- أجل، فأنا أقوم بجمع أغراضي.. لأنني مسافرٌ إلى الولايات المتحدة في الصباح.

سألته ريم وهي غاضبة:

- لماذا لم تخبرني قبلها؟، هل يجب علي أن أسألك دائمًا بنفسي؟

- أقسم لكِ أنني لم أكن أعلم إلا اليوم، فقد طلبوني للحضور إلى المقر الرئيسي للشركة، هناك بعض الأعمال سأنتهي منها وأعود سريعًا.. يومان فقط وسأعود على الفور.

سألته ريم متعجبة:

- ما اسم تلك الشركة التي تعمل بها؟

- اسمها لويز، وهو نفس اسم الصيدليات التي تفقدناها سويًا، هل نسيتِ تلك الليلة!

ردت ريم مستاءة:

- حسنًا اذهب إليهم، ولكن لا تتأخر..

ثم أكملت حديثها مبتهجة:

- هل تعلم أين كنت اليوم في الصباح؟

أجابها أمير وكأنه لا يعلم:

- تُرى أين كنتِ؟ أين كنتِ؟ هل ذهبتِ مثلًا لزيارة أساتذتك بالجامعة؟

فأجابت ريم ببهجة وسرور:

- لا، لقد كان لدي مقابلة في جهاز أمن الدولة، وقد سألوني أسئلة كثيرة جدًا.. وقاموا بعمل مقابلة معي، وفي النهاية قالوا لي أن أنتظر النتيجة قريبًا، ولكن كيف استطعت فعل ذلك يا أمير!

رد أمير بدعابة:

- لقد كان ذلك أول طلب تطلبينه مني، كيف لي ألا ألبيه، ولذلك ببساطة قمت بتنفيذه، ذهبت إليهم وطلبت منهم وأنا أقول أرجوكم.. أرجوكم.. فأنا أعلم أنها فتاة جميلة، وأنها ستفيدكم في عملكم..

ضحكت ريم وهي تشكره على ما فعل.. وأنهت معه المكالمة وهي تدعي بأن يحفظه الله من أي مكروه.. وظلت بعد المكالمة تكرر اسم هذه الشركة باستغراب.

***

في صباح اليوم التالي.. سافر أمير بعد أن قام والده بإيصاله للمطار.. وقام بالدعاء له بأن يوفقه الله، وطلب من ابنه أن يطمئنهم عليه حينما يصل إلى هناك.. ثم احتضنه وودعه إلى أن غادر.. ودخل لاستكمال إجراءاته بالداخل.. حتى صعد إلى الطائرة، ثم غادر أبو أمير بعد ذلك عائدًا إلى منزله.

أما ريم بعد أن استيقظت من نومها.. اتصلت بأمير لتجد الهاتف مغلقًا.. لتستنتج أنه قد سافر بالفعل.. فذهبت كعادتها لتسقي الحصان الخاص بها خارجًا.. ثم عادت للمنزل لتساعد أمها في تجهيز الفطور، بعد ذلك ذهبت إلى غرفتها لإيقاظ أختها الصغرى.. ثم ذهبت إلى غرفة أخيها الصغير لتوقظه هو أيضًا، وتخبره بأن يحضر ليتناول الفطورمعهم، فجأة لاحظت وجود علبة دواء غريبة على سطح المكتب الخاص بأخيها، أمسكت ريم بتلك العلبة بيدها.. لاحظت الشعار الموجود على العلبة، إنه نفس شعار الشركة الموجود بتلك الصيدليات التي أنشأها أمير، وبالتالي هي نفس شعار الشركة التي يعمل بها، ولكن لماذا يتناول شقيقها الصغير هذا الدواء! فهو ليس مريض ولا يحتاج لأدوية، فأخذت صورة للعلبة بهاتفها، وعادت توقظه من جديد حتى استيقظ، فأمسك شقيقها سريعًا بتلك العلبة التي نسيها بالخارج وخبأها.. ثم عاد للنوم، غادرت ريم وأبقت هذا الموضوع سرًا.. حتى تعلم بالتفاصيل من ذلك الصيدلاني

العجوز.. فبالتأكيد أن ذلك الدكتور يمتلك من الخبرة ما يؤهله لمعرفة معلومات وتفاصيل أكثر عن هذا الدواء.

***

مر الوقت حتى حلَّ المساء.. وخرجت ريم تقود سيارتها ذاهبةً لتلك الصيدلية، فهي تريد معرفة ذلك الدواء الذي يتناوله شقيقها الصغير.. حتى وصلت إلى الصيدلية..

رحب بها الدكتور سالم وسألها عن أمير الذي لا يجيب على هاتفه، فأخبرته ريم أنه قد سافر للخارج للانتهاء من بعض أعماله.

هز الدكتور برأسه وهو يخبرها:

- لقد أصبح مشغولًا جدًا.. حتى أنه لم يعد يزُرني منذ فترة.. مع أنه كان يأتي هنا كل صباح!

تعجبت ريم كثيرًا من كلام ذلك العجوز المريب فسألته:

- هل أمير يواجه مشكلة أو متورط في شيءٍ ما يا دكتور؟! أرجوك أريد الاطمئنان عليه فقط.

أخبرها الدكتور سالم محاولًا طمأنتها:

- لا تخافي يا عزيزتي.. فخطيبك بأفضل حال، وذكيٌ جدًا.. ولن يصيبه أي مكروه إن شاء الله.

فأخرجت ريم من حقيبتها هاتفها.. وبدأت تبحث عن صورة ذلك الدواء التي التقطتها في الصباح.. ثم أعطت الهاتف للدكتور سالم.

سألته ريم بارتباك:

- أريد ذلك الدواء، هل هو موجود عندك؟

سألها الدكتور سالم متعجبًا:

- منذ متى وأنتِ تتناولين هذا الدواء يا ابنتي؟

فازدادت حيرة ريم أكثر وأكثر وأجابته قائلة:

- إنه ليس لي، فقد وجدته عندما ذهبت لإيقاظ أخي هذا الصباح، وعندما عدت له مرة أخرى.. وجدته قد أخفى تلك العلبة!

تغيرت نبرات صوتها بانفعالٍ شديد.. ثم تابعت:

- أخبرني يا دكتور سالم رجاءً.. ما هو هذا الدواء؟

رد الدكتور سالم محاولًا الهروب:

- لا أعلم.. ولكن انصحي أخاكِ بالابتعاد عن هذا الدواء!

ترجَّته ريم بشدة:

- أرجوك أخبرني بكل شيء، فأنت بالتأكيد لديك خبرة كبيرة في هذا المجال.. كما أنك شريك أمير في هذه الصيدلة.. التي هي بالأساس تابعة لمجموعة "لويز".. والعلبه عليها نفس الشعار، فكيف لا تعلم شيئًا عن هذا الدواء!

في تلك اللحظات.. قاطع حوارهم دخول شخص تبدو عليه علامات الهلوسة.. متوجهًا إلى الدكتور سالم وهو يسأله عن نفس الدواء.. فيخبره الدكتور سالم أنه غير متوفر في السوق حاليًا.. وموجود فقط بالمستشفيات الكبيرة..

أمسكت ريم هاتفها سائلةً ذلك الشخص:

- هل تقصد هذا الدواء؟!

أجابها ذلك الشخص منفعلًا:

- أجل أجل.. أنقذيني أرجوكِ.. أريد ذلك الدواء بأي ثمن، فأنتما لا تعلمان ما يحدث لي إن انقطعت عنه فترة ولم أتناوله..

وبدأ ذلك المدمن يتوسل بشدة إلى ريم قائلًا:

- أرجوكِ.. أتوسل إليكِ.. دليني على أي مكان يبيعون فيه هذا الدواء.. وأنا مستعد أن أدفع أي شيء لهم.. ومستعد أن أدفع لكِ أيضًا، أنقذيني يا سيدتي..

بدأت ريم ببلع ريقها وهي خائفة، فطلب الدكتور سالم من ذلك الشخص الخروج حالًا من الصيدلية.. وإلا اتصل بالشرطة، ففرَّ ذلك الشخص سريعًا خائفًا..

ثم نظر الدكتور سالم إلى ريم وهو يخبرها:

- حسنًا سأخبركِ بكل شيء.. الموضوع بسيط جدًا.. هذا الدواء يستخدم في علاج آلام الأعصاب، بالإضافة لعلاجه لنوع معين ودقيق من مرض السكر.. هذا كل شيء.

قاطعته ريم:

- معنى هذا أن ذلك الشخص الذي هددته بطلبك الشرطة له، لديه آلام في الأعصاب!

أجابها الدكتور سالم ممازحًا وهو يضحك:

- أرأيتِ كيف لم يستطع التحكم بأعصابه.

***

بعد أن خرجت ريم من تلك الصيدلية.. لم يهدأ لها بال.. حتى قررت الذهاب لصيدلية أخرى..

سألت ريم الصيدلي الواقف أمامها:

- هل لديكم ذلك الدواء يا دكتور؟

رد الصيدلي متأسفًا:

- للأسف.. لقد انتهت آخر علبة منذ أسبوع.

سألته مجددًا:

- هل ذلك الدواء لعلاج آلام الأعصاب يا دكتور؟

أجابها الصيدلي باستياء:

- هذا الدواء.. هو أبشع ما رأته عيني.. ولم أرَ مثله من قبل، بالرغم من كونه الأفضل في علاج آلام الأعصاب التي تعد الأصعب، إلا أنه في حقيقة الأمر كارثة.

قاطعته ريم سريعًا:

- كيف كارثة وهو العلاج الأفضل!

أخذ ذلك الصيدلي نفسًا عميقًا.. ثم قال:

- هذه هي المشكلة الأكبر.. أنه الأفضل، فمن الآثار الجانبية لهذا الدواء.. أنه يؤثر بطريقة غير مباشرة على وظائف الدماغ.. خصوصًا إذا تم أخذه بجرعات كبيرة، مما يجعله يشبه تأثير بعض المخدرات.. إنه بالفعل كارثة كبيرة، لأنني كما قلت لكِ الأفضل في علاج آلام الأعصاب.. بالإضافة إلى فعاليته في بعض الحالات المرضية الأخرى.. لهذا لا يمكن منع ذلك الدواء أو حظره، أتعلمين يا سيدتي أنه تم حظره مؤقتًا منذ فتره.. ومع ذلك سمعت أن السوق السوداء مليئة بكميات كبيرة.. لتعود الدولة وتسمح ببيع الدواء من جديد في الصيدليات.. ولكن تحت ما يسمى "الأدوية المراقبة والكنترول"..

فسألته ريم وهي حزينة:

- هل الشركة قامت بإنتاج ذلك الدواء لغرض العلاج.. أم لذلك الغرض الآخر؟

أجابها الصيدلي متحيرًا:

- في الحقيقية لا أعلم..

شكرته ريم على تلك المعلومات، وعادت وهي مصدومة وحزينة إلى بيتها.

***

في الطريق وأثناء عودة ريم إلى بيتها بالسيارة.. ظلَّت ريم تفكر كثيرًا.. هل من الممكن أن يكون أمير مشترك بتسويق ذلك الدواء، أم أنه فقط مجرد موظف بتلك الشركة.. وليس له علاقة بتلك الأمور! وإذا كان مجرد موظف.. لماذا طلبت منه تلك الشركة أن يذهب إلى مقرها الرئيسي.. ومن أين له بتلك الثروة الهائلة التي لم يكن يمتلكها من قبل.. وبدأ الشك يتسلل إلى قلبها.. فلا يمكن أن يكون أمير موظفًا عاديًا، فكيف له أن يتوسط لها بأن تعمل بأقوى وأخطر جهاز بالدولة.. وهي مازالت حديثة التخرج! بل إنها خريجة من كلية الحقوق.. ولم تدرس الماجستير في كلية الشرطة! لتصل إلى بيتها وتدخل غرفتها حزينةً حائرة.. فتستسلم للنوم.

***

في صباح اليوم التالي يرن هاتف ريم.. لتستيقظ وترى رقمًا غريبًا..

ردت ريم سائلةً:

- من معي؟

أجابها المتصل:

- مبروك يا ريم.. لقد تم الموافقة على قبولك معنا بجهاز أمن الدولة.. من قبل لجنة القبول والتوظيف، لقد اجتزتِ كل الاختبارات بنجاح، يمكنك القدوم إلينا غدًا لاستلام وظيفتك.

أنهت المكالمة وذهبت إلى والديها.. لتخبرهما بما حصل.. وأن أمير هو من ساعدها بالفعل لتصل إلى ذلك المكان.. وكانت سعيدة جدًا في ذلك اليوم.

حاولت كثيرًا الاتصال بأمير لتخبره بما حدث، إلا أن هاتفه مازال مغلقًا، وتمنت بالفعل لو أن أمير معها ليشاركها تلك اللحظات السعيدة.

رحلة صعود

بعد أن وصل أمير للفندق الذي حجزوا له فيه، انتظر منهم تفاصيلًا جديدة.. وقام يتفقد جدول تحركاته، الذي جهزته له الشركة بالطبع ، فهو يعلم أن أساس هذه الشركة مبنيٌ على النظام.. ولا شيء لديهم يأتي بالصدفة.. ليرن هاتف الغرفة.. يخبره أحدهم أنه سيأتي إليه في صباح الغد، لاصطحابه إلى مقر الشركة.. وطلب منه أن يكون جاهزًا في الصباح قبل الساعة الثامنة صباحًا..

***

في صباح اليوم التالي.. أحدهم يدق الباب ويرن جرس الغرفة، فيستقظ أمير من نومه ويفتح الباب، ليجد شخصًا يرتدي قميصًا بشعار الشركة، فيفهم سريعًا أنه هو ذلك الشخص الذي اتصل به بالأمس..

سأله الرجل مندهشًا:

- لم تجهز بعد يا دكتور!

مسح أمير عينيه متثائبًا وهو يقول:

- أنا آسف، تفضل بالدخول.. انتظرني قليلًا حتى أجهز، أعذرني فلم أستطع ضبط مواعيد نومي..

فيجيبه ذلك الشخص:

- لا تقلق، أنا أعلم أن الشخص المسافر يواجه مشاكل بمواعيد النوم.. لذا أتيت مبكرًا، لازلنا نملك الوقت الكافي.. فالساعة الآن السابعة والنصف.. فخذ راحتك.

استعد أمير ونزل هو وذلك الشخص.. ليجد نفس سيارته التي يمتلكها هناك، فقد قامت الشركة بتأجيرها خصيصًا له، فالمال لا يهم تلك الشركة في سبيل إسعاد موظفيها المهمين ورفاهيتهم، ثم ركبا الـ يارة.. وذهبا إلى مقر الشركة.

في الطريق ظل أمير يشاهد ناطحات السحاب.. والتي تشبه الأبراج الموجودة بالبلد التي قدِم منها، ولكن هذه الأبراج مميزة للغاية.. فكل الشركات العالمية تتركز فيها، وتلك الإعلانات الكبيرة المعلقة على الأبراج، إنها بالفعل مدينة مزدحمة ويعمها النشاط والحيوية.. كما أن طقسها ليس حارًا كما تعود في الخليج..

سأل أمير ذلك الموظف:

- هل كل المدن الأخرى تشبه تلك المدينة؟

- بالطبع لا، فهذه المدينة هي التي تتركز فيها كُبرى الشركات العالمية.. و المنظمات والجمعيات التي تهتم بشئون العالم أيضًا.. إنها عاصمة الشركات والمنظمات العالمية، فبالرغم من أنها ليست عاصمة الولايات المتحدة.. ولكن "نيويورك" هي نبض الاقتصاد في العالم كله.. وبالطبع هي الأجمل والأروع والأهم.

ليقتربا أكثر من مقر الشركة.. فيلاحظ أمير شعار "لويز" الكبير.. معلقًا على برج شاهق ضخم.. يكاد يخترق السحاب بطوله.. ثم نزلا من السيارة بعد إيقافها أمام المدخل الرئيسي للشركة، تسلم موظف الموقف المفاتيح من السائق، ليدخلا بعد ذلك إلى مقر الشركة.

دخل أمير هو وذلك الموظف.. ليبدأ الجميع بالترحيب بأمير، فجميع العاملين بتلك الشركة قد سمعوا عن إنجازاته في مقرهم بالشرق الأوسط

وآسيا، ليشعر أمير بالخجل قليلًا.. فأنظار الجميع تتجه إليه هو فقط، ثم أكمل طريقه مع ذلك الموظف، حتى صعدا بالمصعد في ذلك البرج الشاهق، ليصلا أخيرًا إلى الطابق الأخير.. ويرى أمير ذلك المنظر الخلاب من الزجاج الذي يغطي البرج، إنه يرى المدينة الأجمل والأروع في العالم من الأعلى، إنه بالفعل منظر خلاب ولن يتكرر، ليمسك أمير هاتفه ويلتقط بعض الصور وهو بهذا المكان المرتفع، ليأتي إليه شخص من الخلف طاعِنٌ في السن.. تبدو عليه ملامح الثراء، ويضع يده على كتف أمير قائلًا بالإنجليزية:

- أحسنت يا أمير، ما يعجبني فيك هو عدم إهدارك للفرص واللحظات المهمة.. والاستفادة من كل لحظة سواء كانت مهمة أم لا، تعالَ معي لتناول القهوة في مكتبي.

ثم طلب من الشخص الآخر الذهاب إلى مكتبه واستكمال مهامه الأخرى.. وقام باستخدام جهاز الاتصال في مكتبه.. ليطلب من الطباخ تحضير "قهوة لويز" الخاصة.. وإحضارها مع العامل إلى مكتبه.

جلس ذلك الرجل على مكتبه.. وطلب من أمير الجلوس والاستمتاع بذلك المنظر وهو جالس..

ثم قال لأمير:

- يبدو أنني نسيت أن أعرِّفك بنفسي، أنا السيد "لويس" صاحب تلك الإمبراطورية الكبيرة، لقد أسهمت معنا كثيرًا يا أمير ببناء هذه الشركة.. والوصول بها الى القمة، فبالرغم من عمرك الصغير، إلا أنك تمتلك موهبة خطيرة، فقد أخبرني سلطان بكل شيء، لقد استطعت بموهبتك أيضًا تسويق ذلك المنتج الجديد، وكأنه قد طُرح في السوق منذ عشرات

السنين، فقد وصل ذلك العقار إلى معدلات رهيبة جدًا في نسبة المبيعات، لا أعلم كيف أرد لك هذا الدين العظيم، فكل ما تتمناه صدقني سأقوم بتلبيته، لابد أن سلطان أخبرك ببعض قوانينا.

رد أمير سريعًا:

- أجل.. لقد أخبرني عن قانون الخيانة وعقابه.

ضحك السيد لويس قليلًا، ثم تابع:

- هناك قانون أيضًا خاص بالموظفين الموهوبين.

ردَّ أمير بتواضع:

- يا سيدي أنا لم أكن لأقوم بكل تلك المهام من نفسي، فلولا مساندتكم لي بالأصل.. لما وصلت لكل ذلك.

ليقاطهم العامل الذي أحضر القهوة.. ويقدمها لهما، فيطلب السيد لويس من أمير تناول القهوة.. لأنه بعد قليل هناك اجتماع خاص وسريع بكل المدراء والمسئولين بالمقرات الرئيسية حول العالم.. حيث سيشرح لهم أمير بإيجاز تلك الخطط الرائعة.. والتي ساعدت ونهضت كثيرًا بالشركة في تلك المنطقة التي يعمل بها أمير.

بعد أن تناول أمير القهوة.. طلب منه السيد لويس أن يتبعه للذهاب لقاعة الاجتماعات، ليدخلا تلك القاعة الكبيرة والمبهرة.. سقفها يتزين برسومات جميلة مطلية بالذهب، وجدرانها التي تتكون من حوض سمكي كبير.. يلتف حول تلك القاعة بالكامل.. وأسماك الزينة تتنقل حولهم في منظر جنوني ورائع تستريح له النفس، وتتوسط تلك القاعة المميزة طاولة بيضاوية في المنتصف.. والجميع جالسون في أماكنهم ينتظرونهما، حتى يبدأ السيد لويس بتقديم أمير للجميع.. صاحب

عضوية لويز الفريدة بالرغم من صغر سنه، ثم يطلب من أمير أن يترأس الاجتماع.. ويشرح لهم بتفصيل مختصر ما فعله بمقرهم هناك، حتى يطبقه الجميع فيما بعد في المقرات الأخرى، وبدأ أمير بالكلام وبدأ يشرح لهم بإيجاز تلك الخطة.. الجميع منبهرون من تلك الخطة الذكية.. بل إن بعضهم قد جن جنونه من عبقرية أمير رغم صغر سنه.. حتى انتهى أمير وانتهى ذلك الاجتماع، وطلب السيد لويس من أمير أن ينمي مهاراته أكثر وأكثر.. وتوقع له منصبًا كبيرًا في المستقبل القريب معهم بالشركة.

عاد أمير مرة أخرى لغرفته الموجودة بالفندق.. ليرتب أغراضه بعد أن انتهى من مهمته في الولايات المتحدة.. وجهَّز نفسه للعودة مرة أخرى للخليج.. بعد أن انتهى من شرح خطته كما طلبوا منه.

***

بعد أن وصل أمير إلى المطار عائدًا من سفره.. اتجه مباشرةً إلى مكتبه القابع بمقر الشركة، ليجد سلطان بانتظاره على أحر من الجمر، فقصَّ عليه كل ما حدث له هناك بالتفصيل الممل.

ولكن هناك شخص أهم اشتاق أمير للحديث معه، أجل.. إنها ريم.. فأمسك أمير بهاتفه واتصل بها فورًا، رن هاتف ريم وهي تنظر إليه بلا اهتمام.. لتلاحظ اسم أمير على هاتفها.. فتقفز من مكانها آخذةً الهاتف معها إلى غرفتها..

ردت ريم بسعادة تغمرها:

- أمييير، أين كنت تلك كل الفترة.. لقد اشتقت إليك كثيرًا.

فيجيبها أمير مغازلًا:

- لقد كنت هناك وحيدًا وشعرت بالاختناق.. حتى كاد الأكسجين الذي أتنفسه أن ينتهي مني، والآن عندما عدت.. أول ما فكرت به هو.. أن أتنفس ذلك الأكسجين مرة أخرى وأتصل بكِ.. فأنتِ لستِ حبيبتي فقط، بل أنتِ أهم أسباب حياتي في هذه الدنيا.

خجلت ريم قليلًا من كلامه ثم قالت:

- هل علمت ما حدث؟ لقد نجحت بالاختبارات كلها.. وأصبحت الآن أعمل بجهاز أمن الدولة.

مازحها أمير:

- إذًا متى ستأتين للقبض عليَّ حضرة الضابط!

- لن أقبض عليك فقط، بل سأضعك في سجن خاص أيها المجرم الذي سرق روحي..

ضحكا سويًا حتى أنهيا المكالمة.

***

مرَّت الأيام.. واستلمت ريم وظيفتها.. وبينما هي جالسة مع زميلتها وصديقتها الجديدة هند.. اقترحت عليها هند بأن تستخدم سلطتها وتبحث وراء أمير.. بل وتتنصت على مكالماته.. رفضت ريم تلك الفكرة.. ولكن ظلت تلك الفكرة تراود تفكيرها.. فهي تريد أن تعرف المزيد حول ذلك العقار الغريب.. وتريد أن تريح ضميرها بأن أمير بريء من ذلك العقار..

في اليوم التالي.. ذهبت ريم إلى مكتبها.. وطلبت من زميلتها هند في الجهاز، أن تتنصت وتراقب تلك الشركة بطريقة غير رسمية.. بل وطلبت منها أخيرًا مراقبة هاتف أمير.. وبدأت ريم بوضع خطة محكمة.. ومراقبة

هواتف الإداريين بتلك الشركة، ولكن كل شيء على ما يرام.. كل شيء قانوني تمامًا.. لا يوجد أيّ تجاوزات أو مخالفات للقانون.

***

وفي الليل.. بينما تجلس ريم مع أمير في ذلك المقهى.. لاحظت هاتف آخر يهتز بالقرب من أمير.. غير الهاتف الموجود على الطاولة أمامهما.. صوت الاهتزاز يأتي من الجيب الداخلي للبذلة التي يرتديها.. ولكن أمير كان حذرًا جدًا.. ولم يخرج الهاتف، فهو يرتدي سماعة لاسلكية..

ضغط أمير بإصبعه على السماعة وبدأ يرد بغضب:

- من معي؟ أجل أجل.. أنا مشغول جدًا الآن.. اذهب وعبئ الوقود وسوف آتي بعد ساعة.

لينظر بعد ذلك إلى ريم ويقول:

- لا أعلم.. هذا الغبي سيارته لا يوجد بها البنزين الكافي.. ويسألني هل يقوم بتعبئتها أم لا.. هل تتخيلي.. يريد أن آتي إليه لكي أعطيه حساب البنزين.. مجانين! لا يريد أن ينتظر للصباح حتى تحاسبه الشركة!

نظرت إليه ريم بقلق وارتياب وهي تقول:

- لا عليك.. فهؤلاء عمال بسطاء.. وتلك المبالغ تؤثر على معيشتهم.. فلديهم أسر في الخارج ومصاريف والتزامات.. ويجب أن تشفق عليهم.

رد أمير متأثرًا:

- كلامك صحيح يا ريم.. سأهتم بالأمر.

خرجا بعد ذلك من المقهى.. وبينما يوصلها أمير في سيارته إلى المنزل.. أخرجت ريم من حقيبتها شيئًا صغيرًا للغاية وألصقته بجانبها على المقعد

دون أن يشعر أمير.. بعد ذلك وصل أمير إلى منزلها.. ثم ودعها بعد ذلك ورحل.. بعد أن اطمأن من دخولها للمنزل..

***

وصل أمير إلى محطة الوقود.. فوجد ذلك الرجل وهو بالشاحنة.. يعتذر إلى أمير لأنه اتصل في ذلك الوقت..

سأله أمير غاضبًا:

- لمَ اتصلت بي في هذا الوقت المتأخر؟

ردّ الرجل بارتباك:

- سيدي الدكتور.. عندما وصلت الشحنة الجديدة.. امتلأ المخزن بأكمله.. ولم يعد هناك مكان يكفي لشحنتي.. لم نستطع التصرف.. لذا اتصلت بك يا سيدي.

ذهب أمير مع ذلك الرجل وبعض العمّال.. بعد أن نزلوا إلى ذلك المخزن.. فتفاجأ أمير بتلك الكميات الضخمة من الدواء، المخزن ممتلئ بأكمله، ولا يوجد مساحة لأي شحنة جديدة.. يأتي رجل من بعيد من رجال أمن المحطة.. والعرق يتصبب من رأسه..

يتلعثم بالكلام وهو يقول:

- سيدي.. سيدي.. نحن في مصيبة كبيرة..

يلتفت إليه أمير بذهول قائلًا:

- ماذا بك.. لمَ هذه الضجة؟

يطلب منه رجل الأمن الذهاب معه للخارج.. وعندما وصلا للخارج.. وجد أمير رجلًا أجنبيًا أصلع واقفًا أمام السيارة.. وبيده جهازٌ غريب يصدر صوت تنبيه متكرر.

سأله أمير متعجبًا:

- ماذا هناك؟

أجابه الرجل ممسكًا بالجهاز قائلًا بالإنجليزية:

- يوجد لديك جهازٌ في السيارة.. ولا أستطيع فتح السيارة الخاصة بك.. هلا سمحت لي بأن أبحث في الداخل؟

سأله أمير باستغراب بالإنجليزية:

- من أنت؟ ومن قام بتوظيفك هنا؟ هذه أول مرة أراك فيها!

أجابه الرجل بثقة:

- أُدعَى روري.. وأنا ضابط سابق في جهاز المخابرات البريطاني.. وجئت حديثًا هنا في أمن الدولة الخاص بهذه الدولة.. ولديَّ عضوية "لويز" معكم.. وعندما تم إحالتي إلى التقاعد.. طلب مني الدكتور سلطان أن أعمل هنا.

فتح أمير السيارة وهو يقول:

- حسنًا.. تفضل.

ظل روري يفتش بالسيارة.. فطلب أمير من الباقين الذهاب إلى مواقعهم.. سأله سائق الشاحنة إن كان عليه المغادرة.. فطلب منه أمير الانتظار عند الشاحنة.

مرَّت الدقائق.. حتى وجد روري الجهاز.

ليعطيه لأمير وهو يقول مرتبكًا:

- إنه جهاز تتبع وتحديد المواقع.. يبدو أنك مراقب من أمن الدولة!

سأله أمير مصدومًا:

- كيف عرفت ذلك؟

أجابه روري باستغراب:

- ألا ترى ذلك المغناطيس المثبت في ظهره.. بالتأكيد هو جهاز تتبع.

أخبره أمير بخوف:

- لم أقصد ذلك.. سألتك كيف عرفت أنني مراقب من أمن الدولة؟

أجابه العجوز وهو يتفاخر:

- كنا نستعمله في الجهاز.. لازلت أتذكره إلى الآن.. هذا النوع لا يُباع في المتاجر.

طلب أمير من روري أن يعيد الجهاز مرة أخرى لنفس المكان.. ثم طلب منه أن ينتظر في المخزن، وطلب من أحدهم أن يراقب روري.. وأخذ هاتفه إن قام باستخدامه.. ثم ذهب أمير إلى سائق شاحنة النفط.. وبينما هما واقفان هناك يتناقشان.. تصل ريم بصحبة هند التي تقود.. ويراقبان من بعيد أمير وذلك الرجل معه..

نظرت هند إلى ريم قائلة:

- يبدو أنه لا يكذب يا ريم.. كما ترين.. إنه يقف مع ذلك السائق ويتحدث إليه.

ردَّت ريم باستياء:

- لا أعلم يا هند.. يبدو أنني ظلمته.. وأنَّ ذلك الهاتف ليس سوى هاتف خاص بأشغاله.

بعد دقائق من المراقبة تتحرك السيارة.. وتغادر ريم و هند إلى منزلهما.. ليأتي رجل الأمن الذي كان يراقب روري إلى أمير..

ثم يقوم بتسليمه هاتف روري قائلًا:

- سيدي لقد رحلوا وانتهى الأمر.. تأكدنا من تلك الكاميرات بالخارج.. هناك شخصان كانا يستقلان تلك السيارة غير واضحي المعالم.. أما روري فقد حاول الاتصال بأحدهم.. وقد قمت بمنعه وأخذ هاتفه كما طلبت.

ظلَّ أمير يفكر قليلًا.. ثم أمسك بهاتف روري.. واتصل برقم ما سريعًا دون أن يشعر أحد وأغلقه.

ثم نظر إلى سائق الشاحنة قائلًا:

- أنا أعرفك جيدًا يا مراد.. والآن قد تأكدت من كلام ذلك العجوز!

يجيبه سائق الشاحنة مراد بدهشة:-

- ماذا هناك يا سيدي.. ماذا قال لك عني ذلك الرجل!

رد أمير بهدوء وبصوتٍ منخفض:

- لقد أخبرني أنك أنت من زرعت ذلك الجهاز بسيارتي.. وأنك تحاول الإيقاع بنا!

غضب مراد وانفعل بشدة وهو يقول:

- سيدي.. هذا العجوز كاذب.. أقسم لك أنه كاذب.. اتركني لأقتل ذلك الكلب الكاذب.

نظر إليه أمير مجددًا وهو يقول:

- افعل ما تراه صوابًا.. لا علاقة لي بهذا الموضوع.. لكن تأكد أن ذلك الرجل خطر علينا الآن.. هل لاحظتما على من كان يتصل؟

أخذ رجل الأمن الهاتف من أمير ثم قال بصدمة:

- إنه رقم الشرطة يا سيدي.. ولكن لمَ يقوم بإلباس التهمة بمراد!

أجابه أمير بثقة:

- لأنه عند قدوم الشرطة وكشف المكان.. ستعلم الإدارة بالخارج وسيتخلصون من الفاعل.. وبالتأكيد هو رجل مخابرات قديم وذكي جدًا.. قرر كشف ذلك الجهاز وإلباسها بمراد.. وعندما يتم كشفنا سيخرج هو ببساطة من تلك الورطة.. أما مراد سيكون هو الذي كشف أمرنا أمام الجميع..

ردَّ مراد غاضبًا بشدة:

- سيدي.. إذا طلبت مني قتله الآن سأمزق جثته إربًا.. أريد الأمر منك فقط.

أجابه أمير بارتباك:

- أنا لا أعطي أوامر بالقتل.. سأتصل الآن بالدكتور سلطان.. وستتحدثان إليه لتخبراه بكل ما جرى..

أمسك أمير هاتفه واتصل بسلطان:

- أهلًا يا سلطان.. سامحني لاتصالي الآن.. أعلم أن الوقت متأخر..

وذهب أمير بعيدًا قليلًا وهو يتحدث إلى سلطان.. وبعد دقائق عاد أمير من جديد.. وأعطى الهاتف لرجل الأمن طالبًا منه الرد..

استمع رجل الأمن للهاتف وهو يجيب:

- أجل يا سيدي.. صحيح.. أجل.. وجدنا رقم الشرطة على هاتفه.. لقد أمسكت هاتفه بنفسي ونحن في المخزن.. كانت سيارة غريبة تراقب من بعيد.. توقفوا قليلًا ثم غادروا.. لا لم يقوموا بتعبئة الوقود كباقي السيارات.. حسنًا.

ثم ناول الهاتف لمراد.. فاستمع مراد للهاتف ثم قال:

- لقد رأيت رقم الشرطة أيضًا يا سيدي.. صحيح.. لا أحد يعلم شيئًا سوى نحن الثلاثة.. حسنًا علم وينفذ يا سيدي.. ثم ناول الهاتف لأمير..

ردَّ أمير على الهاتف بخوف:

- حسنًا.. سأتخلص من ذلك الجهاز.. لا تقلق.. سأغادر الآن.. لا عليك.. مع السلامة.

ذهب أمير إلى سيارته.. وبدأ بالتحرك متجهًا إلى منزله.. فسمع صوتًا قويًا يشبه الرصاصة، توقف بالسيارة سريعًا.. ثم نظر خلفه.. ليجد شاحنة النفط مائلة قليلًا.. فقد انفجر الإطار الخلفي لها.. ومراد واقفًا عند الشاحنة..

وبصوت مرتفع قال:

-لا تقلقوا جميعًا.. إنه الإطار الخلفي للشاحنة.. ركب أمير سيارته بخوف بعد ذلك وغادر.

أحلام اليقظة

في عطلة نهاية الأسبوع.. جلس أمير كعادته بصحبة ريم في المقهى الخاص بهما.. يتناولا معًا القهوة ويتبادلا الحديث سويًا.. وبعد أن انتهيا وغادرا المكان.. قام أمير بإيصال ريم للمنزل كالعادة.. وأثناء قيادة أمير للسيارة.. لاحظ ريم وهي تقوم بأخذ ذلك الجهاز سريعًا.. حتى وصلا أمام منزلها.. غادرت السيارة مودعةً إياه.. ثم غادر هو أيضًا.

***

في الصباح الباكر.. أحدهم يدق باب المنزل.. لتفتح أم أمير الباب وترحب بريم..

دخلت ريم وهي تقول:

- لقد قررت أن أفاجئكم اليوم بحضوري والجلوس معكم قليلًا.. فاليوم هو السبت.. يوم عطلة عن العمل..

احتضنتها أم أمير قائلة:

- تفضلي يا حبيبتي.. إنه منزلك أيضًا.. سيفرح أمير كثيرًا عندما يعلم.. انتظريني لحظة سأذهب لإيقاظه.

قاطعتها ريم سريعًا وهي تمسك يدها:

- لا لا يا أمي.. هل تسمحين لي أن أقوم أنا بإيقاظه.. أريد أن أفاجئه وأرى ردة فعله..

نظرت إليها أم ريم بخجل وهي تقول:

- أنتم الشباب..

وبدأت تضحك.. ثم أكملت:

- حسنًا.. لمَ لا.. ولكن كوني حذرة فأمير لا يحب الإزعاج.

ردت ريم مبتسمةً:

- لا تخافي يا أمي.. سأتوخى الحذر.

دخلت ريم متسللةً إلى غرفة أمير.. وبدأت تبحث سريعًا في كل مكان.. حتى أمسكت تلك البذلة لتفتش في جيبه.. وتجد أخيرًا ذلك الهاتف.. لتتصل سريعًا بهاتفها منه وتغلق.. ثم تقوم بمسح المكالمة، وإرجاع الهاتف مرة أخرى إلى جيب البذلة.. وتغادر ريم من الغرفة بهدوءٍ شديد..

سألتها أم ريم:

- ماذا بكِ.. لمَ خرجتِ سريعًا.. هل استيقظ أمير؟

أجابت ريم بخوف:

- لا يا أمي مازال نائمًا.. أظن أن عليَّ المغادرة إلى أن يستيقظ هو براحته.. وسأتصل به في المساء.

ردت أم أمير:

- لماذا ستغادري سريعًا يا عزيزتي.. حسنًا لا أريد أن أرغمك على البقاء.. عندما يستيقظ أمير سأطلب منه أن يتصل بكِ.

لتسلم عليها ريم وتقبلها وتغادر المنزل.

بعد دقائق استيقظ أمير.. خارجًا من غرفته.. فسلم على والدته وقبَّل يدها.. لتخبره والدته عن قدوم ريم وأنها كانت ستوقظه.. ولكنها استسلمت وغادرت.. صدم أمير ودخل الغرفة سريعًا يتأكد من الهاتف.. بعد أن تأكد وأطمأن لكل شيء.. ذهب إلى الحمام وأكمل يومه مطمئنًا.

***

في صباح اليوم التالي.. طلبت ريم من زميلتها هند بمراقبة ذلك الرقم الغريب.. فقد حُفِظَ لديها عندما اتصلت بهاتفها منه.. وطلبت من هند أن يتم ذلك بشكل غير رسمي.

في نهاية اليوم.. تفاجأت ريم عندما سمعت تلك المحادثات، فخطيبها أمير لديه علاقات كثيرة ومشبوهة.. مع مجرمين ومشبوهين وأمراء وشيوخ وأثرياء، حتى أنه كان يتواصل مع أفراد من ضباط أمن الدولة.. بل ويعطيهم الأوامر أيضًا.. كذلك الحال مع ضباط الجمارك والموانئ.. سألت ريم نفسها مصدومة عن علاقة أمير بهؤلاء الناس وهو يعمل بشركة أدوية، وما علاقته بذلك الدواء المريب.

لتتفاجأ ريم بتلك الشخصيات التي يتحدث اليها أمير.. وهؤلاء الأشخاص الذين يديرون السوق السوداء.. وأنه أصبح سوقًا مستقلًا يسمي بـ "سوق الليبرو" أو "ليبروماركت".. بدأت ريم بكتابة تقرير رسمي بكل ما يحدث وبكل ما علمته.. ولاحظت أن هناك مسئولين كبار في مناصب سيادية حساسة.. مما جعلها تنتظر قليلًا حتى تتأكد من أمير.. أمسكت ريم بهاتفها واتصلت بأمير.. طالبةً منه أن يلاقيها في الغد..

سألها أمير متعجبًا عن السبب:

- هل هناك شيءٌ يا ريم؟

فسألته ريم بنبرة قاسية:

- أين أنت الآن؟

ليجيبها أمير:

- أنا في الصيدلية مع الدكتور سالم.. ما الأمر؟

- غدًا ستعرف.

***

على الجانب الآخر بينما يجلس أمير مع الدكتور سالم..

نظر الدكتور سالم إليه قائلًا:

- ما الفرق بين أن تصعد أوتتسلق جبلًا هنا في الصحراء.. وأن تتسلق جبلًا ثلجياً!

فكر أمير قليلًا ثم أجابه:

- بالتأكيد الطقس.. فهنا بالتأكيد سيكون حارًا.. أما في الجبل الثلجي سيكون صقيعًا.

ضحك الدكتور سالم ثم قال:

- الفرق هو أنه عندما تتسلق الجبل الجليدي وتصل للقمة.. ستتزلج بزلاجتك لتتنقل هبوطًا وصعودًا من جديد بين تلك المنحنيات والتلال.. بل وستكون سعيدًا بذلك.. أما هنا إن وصلت للقمة.. إما أن تبقى بالأعلى.. أو تسقط على الأرض وتنكسر رقبتك..

لتتغير ملامح أمير كثيرًا وهو يفكر..

***

في اليوم التالي.. ذهب أمير ليلاقي ريم في المقهى المفضل لديهما.. وكانت ريم منزعجة قليلًا..

سألها أمير بنظرات مضطربة:

- لماذا لست مسرورةً يا ريم.. هل هناك شيءٌ ما، هل أمك بخير؟ أخبريني!

- لماذا لم تخبرني يا أمير بكل شيء؟

رد أمير بخوف وصوت منخفض:

- ما هو ذلك الشيء الذي لم أخبرك بيه يا ريم؟

ردَّت ريم بغضب:

- لا تحاول التلاعب بي يا أمير، لقد عرفت كل شيء عنك وعن سلطاتك وأعمالك وعلاقاتك، لقد تغيرت كثيرًا.. ولم تعد طيبًا نقيًّا كما عرفتك سابقًا..

حاول أمير إخفاء عينيه.. لينظر إلى الأسفل وهو يقول بارتباك:

- يبدو أنك استخدمتِ سلطتك يا حضرة الضابط.. لأكون أول شخص تراقبينه.. لتصلي لما وصلتِ اليه الآن، لو كنت أعلم أن ما فعلته سينقلب ضدي في يوم من الأيام.. لما فعلته من البداية أصلًا.

ردت ريم بصوت هادئ حزين:

- أمير.. إن أخي يُعالج بالمستشفى الآن بسبب ذلك الدواء، وعندما لاحظت تلك العلبة في غرفته.. ذهبت لأتأكد من إحدى الصيدليات.. لأعلم بعد ذلك حقيقة هذا الدواء، لقد تضرر أخي كثيرًا يا أمير بسببك.. وبسبب تلك الشركة الفاسدة التي تعمل بها، بل هناك الآلاف في هذا العالم.. يتضررون كل يوم بسببكم، هل تشعر بالراحة الآن في ذلك القصر العالي.. بينما الكثيرون يتألمون بسببك؟!

أجابها أمير متأثرًا:

- أنا يا ريم؟ صدقيني.. أنا لم أقم بصناعة هذا الدواء، أنا مجرد موظف فقط في تلك الشركة.. أتلقى الأوامر من المسئولين وأقوم بتنفيذها.

ردت ريم بحزن:

- هل نسيت ذلك الوعد الذي أخبرتني به سابقًا.. عندما وعدت والدك بأن تكون من الطيبين.. وتساعد أي شخص محتاج مهما كلفك ذلك..

أيضًا تلك الشخصيات المتورطة معكم.. لقد تفاجأت بأسمائهم، فهناك من يتخفًّى خلف القانون.. وفي مناصب مهمة وسيادية.. وفي النهاية يعمل لصالح مؤسسات أخرى، أنها خيانة عظمى للدولة.. ولن أغُضَّ الطرف عن ذلك أبدًا يا أمير، لقد أعددتُ تقريرًا كاملًا عن كل ذلك.. وسأقوم بتسليمه قريبًا للسلطات العليا..

رد أمير متألمًا:

- ريم.. أنتِ لا تعلمين ماذا حدث معي حتى يجبروني على ذلك..

لتكرر ريم باستهزاء:

- يجبروك!! يجبروك على ماذا يا أمير، هل وضعوا مسدسًا فوق رأسك.. وطلبوا منك أن تسوق هذا العقار الضار!! (وبنظرات مستهزئة) أجِبني.. أجبني..

رد أمير بنبرات مجهشة بالبكاء:

- لا أريد أن أدخلكِ بتفاصيل كثيرة ومؤلمة يا ريم.. صدقيني لقد عانيت أنا وأسرتي كثيرًا، فقد كان عمي وابنه يعملان في تلك الشركة.. وحاولا سرقة التركيبة الخاصة بذلك الدواء والهروب بها.. وتخلصت منهما الشركة سريعًا، وبطريقة ما وصلت تلك المستندات إلينا.. ولم نكن نعلم بذلك.. حتى قامت الشركة بتهديدنا أكثر من مرة.. وقاموا باستغلال نفوذهم.. وأجبروا والدي على الاعتراف بقتل أخيه، وقاموا بعد ذلك بتهديدنا بالموت..

لم تستوعب ريم ما قاله.. ليمسك أمير بيدي ريم وينظر لعينيها قائلًا:

- ريم، صدقيني.. تلك هي الحقيقة، وأنا مستعد لفعل أي شيء.. ولكن لن يستطيع أحد محاربة تلك المجموعة، فلا تلعبي بالنار يا ريم.. لن يتركونا ولن ينجو أحد إذا قمتِ بفعل ما تخططين له.

سحبت ريم يدها سريعًا من يدي أمير.. وأخذت أغراضها غاضبةً حزينة..

ثم قالت:

- من اليوم، لا تتحدث معي مرة أخرى، لم أكن أعلم أنني كنت مخطوبة لقائد عصابة.. متخفٍ بهوية شخصٍ صالح.

وأمسكت خاتم الخطوبة الخاص بها.. وخلعته وألقت به على الطاولة..

قائلةً والدموع تذرف من عينيها:

- لا أريد رؤية وجهك مرة أخرى، هل تفهم؟

حاول أمير التحدث:

- ولكن.. ريم.. دعيني أشرح لكِ.. ريم.. ريم.. اسمعيني فقط..

حتى غادرت ريم المكان.. وذهبت والدموع تملأُ عينيها..

ظل أمير جالسًا في المقهى.. والجميع ينظر إليه بعد ما حدث.. فركب سيارته وغادر هو أيضًا المكان، فقد كانت تلك الصدمة قوية لأمير، فلم يفكر أبدًا ماذا سيحدث لو علمت ريم بكل شيء.. وها هي الآن تعلم كل شيء.. وتركته وحيدًا تائهًا، بدأ يخاطب نفسه "ولكني كنت مجبرًا على فعل كل هذا.. هي لا تعلم أي شيء.. لا تعلم شيئًا عن تلك المجموعة.. لا تعلم أن حياة أسرتي كانت مهددة.. لا تعلم ماذا يعني أن تصبح لديك عضوية لويز! فأنا لا يمكنني حتى تقديم استقالتي.. لأنني

لست موظفًا عاديًا، فأنا أعلم كل أسرارهم وخفاياهم.. يا إلهي.. بل أنا من قمت بتلك الخفايا.. حتى أهلي لا يعلمون ما أفعله!!

بدأ يتخيل ويتذكر نصائح أستاذه الجامعي قبل التخرج وكلام والده.. عندما نصحه بألا يكون مثل هؤلاء الضباط الفاسدين.. وأن يكون من الأشخاص الطيبين في هذا العالم.. ظل أمير ينظر إلى السماء.. وهو يرجو من الله أن يسامحه على كل تلك الأفعال الخاطئة التي فعلها، ليتعهد بأنه لن يكمل في هذا الطريق مجددًا بعد اليوم..

فجأة تصطدم شاحنة بسيارته بقوة.. لتزيحها عن الطريق العام.. وتتدحرج السيارة وتنقلب على جانب الطريق، ليلوذ صاحب الشاحنة بعد ذلك بالفرار، ويبدأ الناس مهرولين لمكان الحادث.. ليجتمعوا محاولين الاتصال بالنجدة.. وإنقاذ ذلك الشخص الغارق في دمائه.

***

في البيت لم تتمالك الأم أعصابها.. فابنها لم يحضر حتى الآن إلى البيت..

أخبرها أبو أمير:

- أمير مازال شابًا طائشًا، على الأغلب ستجدينه يتسكع مع أصدقائه حول المدينة.

حاولت الأم الاتصال كثيرًا بابنها.. حتى أجابها أحد الأشخاص:

- هل تعرفين ذلك الشخص؟

فتجيبه الأم بهلع:

- من أنت؟ ولماذا هاتف ابني معك.. ماذا هناك أجِبني.. أجبني بسرعة..

ليسقط الهاتف من يدي الأم مصدومةً مما سمعت..

ذهب أبو أمير بسرعة إلى زوجته مصدومًا يسألها:

- ما الأمر!

لم تنتظر الأم.. حتى طلبت من أبو أمير مفاتيح السيارة بسرعة.. فابنها موجود بالعناية المركزة، ليغادر أبو أمير وزوجته متجهين إلى المستشفى سريعًا.. وطلبا من ابنهم الآخر أن يهتم بشئون إخوته حتى يعودا.

وصلت الأم إلى قسم الاستقبال في المستشفى.. في حالة هلع شديدة.. وطلبت من الموظفة أن توصلها لغرفة ابنها، فقامت الموظفة باصطحابها إلى غرفة ابنها من الخارج.. فهو موجود بداخل غرفة العناية المركزة، حيث لا يُسمح لأي أحد بالدخول، إلا إذا كان طبيبًا أو ممرضًا في المستشفى.. قررت الأم أنها ستنتظر ولن تعود إلى البيت، إلا بصحبة أمير..

***

صباح اليوم التالي.. بينما كانت ريم جالسة في مكتبها.. أعدت مذكرة بكل المتورطين بذلك العقار المخيف، وأيضًا تقارير مفصَّلة عن عمليات التهريب التي حدثت، وذكرت كل شيء في تقريرها.. وكانت واجهة التقرير تبدأ باسم أمير.. فظلت تنظر إلى تلك الورقة وهي تبكي.. والدموع تنزل على تلك الورقة، حتى قامت بتمزيقها.. وتمزيق كل ورقة تحتوي اسم أمير في تقريرها، ثم أخذت تلك المستندات وذهبت إلى كبار المسئولين في الجهاز، لتخبرهم بكل ما جرى.. أعطتهم تفاصيلًا كثيرة عن تلك الشركة الخطيرة، وأخبرتهم بأن هناك مجموعة يعملون معهم من داخل الجهاز.. وأيضًا في الشرطة والجمارك والموانئ، جميعهم متورطون بالانتساب إلى تلك الشركة، وقامت بتسليمهم كافة الأوراق والمستندات التي تدين الجميع، ليفتح ذلك المسئول الورقة الأولى ويجد اسم راشد..

فقال لها ذلك المسئول بخوف:

- إنه مسئول كبير جدًا يا ريم.. ويعمل في مكانٍ حساس للغاية!!

أجابته ريم غير مكترثة:

- نعم.. ولكني تعلمت بالجامعة أنه لا أحد فوق القانون..

ابتسم المسئول قائلًا:

- أحسنتِ لأنكِ لم تخافي.. ووضعتِ قوانين هذه البلاد فوق كل اعتبار.. حتى هذا الشخص الفاسد.

ثم أغلق المستند.. ووعدها بأنه سيقوم بعمل كمائن سرية للغاية.. حتى يقبضوا على كل هؤلاء المتورطين، فمهما كانت سلطاتهم.. العقاب سيتم تطبيقه على الكبير قبل الصغير.. حتى يكون عبرة لغيرهم.

مر اليوم الأول ولم يتصل أمير.. ولكن أم أمير اتصلت كثيرًا على ريم، لتتجاهلها ريم تمامًا ولا ترد.

***

صباح اليوم التالي.. بدأت السلطات التنفيذية بوضع الكمائن والخطط اللازمة.. للإيقاع بكل هؤلاء المتورطين، وبدأ المسئولون بالفعل يتأكدون من صحة التقارير الواردة من ريم، ليتعجب الجميع من تلك المجوعة الخائنة.. والذين يعملون في أماكن حساسة جدًا بالدولة.. بل ويقومون بالتلاعب بقوانين الدولة.. والعمل لحسابهم الخاص بتلك الشركة، لم يتوقع أحد أن يغامر هؤلاء الأشخاص بمناصبهم الحساسة والسيادية.. من أجل تلك الشركة المريبة!

***

في اليوم الثالث.. لم يتصل أمير.. ولا حتى أي أحد من أسرته، وتم القبض على جميع المتورطين والمسئولين في تلك الشركة.. وبدأ استجواب الجميع.. وتم إحالة من يعملون في تلك المناصب الحساسة بالدولة للتقاعد.. وتم إجبارهم على ذلك مع عدم الإفصاح عن أي شيء.. حتى يبقى ذلك الموضوع سريًا للغاية، وتم تنفيذ محاكمات سرية لمسئولي تلك الشركة.. وكل المتورطين معهم.

***

بعد أيام.. تم تكريم ريم من قبل السلطات العليا في الدولة.. ومنحها شهادات تقدير وترقيتها.. مع أنها لم تكمل إلا عدة أشهر قليلة في ذلك الجهاز، وفي المقابل تم إيقاف تلك الشركة ومحاسبة المسئولين عنها، وحضرت ريم بعض المحاكمات.. واطَّلعت على كل المدانيين في تلك القضية.. وحاولت تضليل المسئولين كثيرًا عن أمير.. ولكنها لم تجد اسم أمير بالأساس من ضمن أولئك المدانين!

اقترب منها فيصل من وراء القضبان قائلًا بسخرية:

- أيتها الغبية.. لقد أفسدتِ كل شيء.. بل وتسببتِ بقتل ذلك الأحمق الذي تبحثين عنه.. هل تعلمين أين هو الآن!

سألته ريم مصدومة ومرتعشة اليدين:

- أين أمير؟ أين هو؟

ضحك فيصل وهو يجيبها:

- إنه الآن تحت الأرض.. ستجدينه محترقًا هناك في المقبرة.

ردت ريم خائفة:

- أنت كاذب.. وتحاول أن تحرق قلبي.. كما حرقت أوراقكم جميعًا.. أمير ليس هنا.. بالتأكيد أنه هرب..

ليطلب القاضي من الجميع الهدوء.. والإجابة فقط عما يُطلب من كل شخص..

***

بعد ذلك خرجت ريم.. متوجهة إلى المسئولين عن تلك القضية.. وتسألهم عن اسم أمير عبدالله..

فأجابها المسئول هناك بحزن:

- بالفعل.. كان مطلوب إحضاره من قبل الشرطة.. هو ومدير تلك الشركة، لم نجد المدير الذي يُدعى سلطان.. لقد اختفى تمامًا، أما أمير فيقولون أنه تعرض لحادث من قبل شاحنة.. عندما كان في طريقه من مقهى كان يجلس فيه..

سألته ريم مذهولةً مُوقعةً تلك الأوراق التي كانت تحملها بيدها:

- ما هو اسم ذلك المقهى أو مكانه؟

أجابها المسئول:

- نحن نعلم أنكِ على علاقة بذلك الشخص، وأنكما كنتما مخطوبَين.. ولكن كان ذلك في السابق، وحاولنا إخفاء ذلك الموضوع عنكِ.. حتى لا تتأثري، لقد قمنا بعمل تحرياتنا.. فعلمنا أنه كان آخر يوم لكما في ذلك المقهى، وعند مغادرته وهو يقود سيارته.. ربما كان مشتتاً قليلًا.. حتى صدمته تلك الشاحنة..

ردت ريم بصدمة كبيرة:

- شاحنة! وأين هو الآن؟

أكمل المسئول بصوتٍ هادئ:

- أجل شاحنة، وعندما ذهبنا إلى المستشفى.. وجدناه محترقًا وجثته غير واضحة الملامح.. لنأمر المسئولين بالمستشفى بعد ذلك.. بإعطاء أهله شهادة الوفاة والإذن بدفنه.

بدأت يدا ريم بالارتجاف ودموعها تذرف.. فهي لا تعلم أي شيء عمّا حدث لأمير.. بل وتعمدت أن تتجاهل أخباره.. وعدم الرد على والدته.. بسبب ذلك الخلاف الذي حلَّ بينهما مؤخرًا.

ثم قام المسئول بشكر ريم..

لتشكره هي أيضًا متغلبةً على عواطفها وهي تقول:

- سأستأذن منك يا سيدي.. عليَّ الرحيل الآن..

ليرد المسئول بأسى:

- حسنًا، تفضلي يا ريم.

***

خرجت ريم من هناك سريعًا.. لتركب سيارتها وعيونها تنزف آلامًا، حتى وصلت إلى ذلك القصر الكبير الذي كان يسكنه أمير وأسرته، فتجده محاطًا بالكامل بشريط تحذيري.. ولافتة كبيرة مكتوب عليهما ممنوع الاقتراب، لم تستطع ريم حبس دموعها وهي تمسك ببوابة القصر.. وهي تجلس بركبتيها على الأرض ودموعها تغلبها مجددًا، فقد أحسَّت أنها السبب في موت أمير.. وتجريد أهله من ذلك القصر، فما جزاء ذلك الشخص الطيب.. الذي هو بالأساس من ساعدها لتصل لما هي عليه الآن، فبدلًا من أن تشكره، تتسبب في موته وحرقه!!

على الفور أمسكت ريم هاتفها.. واتصلت بشخص مسئول.. سألته عن مكان إقامة أسرة أمير حاليًا.. ليعطيها العنوان على الفور.. وتذهب ريم مسرعة إلى نفس العنوان، فتجد منزلًا بسيطًا للغاية في منطقة بسيطة، ظلَت ريم جالسة في سيارتها، فهي لا تعلم بأي وجهٍ ستقابلهم.. هل تنزل إليهم لتعزيهم على أمير؟ ولكن قد فات الآوان.. فقد مضى على وقت العزاء الكثير، هل تسألهم عما حدث؟! ماذا لو سألوها عن سبب تجاهلها لكل تلك الاتصالات.. ماذا ستقول لهم؟ وكيف ستكون ردة فعلهم؟

بالأخير.. تناولت ريم حبوب الشجاعة.. وقامت باستجماع كامل قوتها.. وقررت الذهاب إليهم وليحدث ما يحدث، فلن يكون أكثر ضررًا مما تعرضوا له بسببها، نزلت ريم من السيارة.. ووقفت أمام باب المنزل وقامت بدق الباب.

فتحت أم أمير الباب وانصدمت.. وبدأت دموعها تتساقط متحسرة وهي تقول:

- أنتِ! ماذا تريدين منا بعد الذي رأيناه من ورائك، هل هذا هو ثمن ما قام أمير بفعله لأجلك!

لم تتمالك ريم أعصابها.. لتجهش بالبكاء أيضًا وترتمي في حضن أم أمير.. ودموعها تنهمر وهي تقول:

- سامحيني يا أمي.. لم أكن أعلم بما جرى لكم.. أرجوكِ سامحيني.. أقسم بالله أنني عرفت بالصدفة..

ضمتها أم أمير بحنان متأثرة وأدخلتها إلى داخل المنزل، لتجد أبو أمير ينظر إليها بغضب..

ثم سألها أبو أمير باستياء:

- هل جئتِ لزيارتنا؟ أم ماذا تريدين منا؟ أتريدين القبض عليَّ أنا أيضًا.. تفضلي قومي بذلك..

ردت الأم حزينة:

- دعها يا أبو أمير.. لا تزد عليها الأوجاع.. فهي تتألم من داخلها.. نادمة عما فعلته..

قامت أم أمير بإخراج خاتم ابنها وخاتمها من حقيبتها.. وناولتها لريم.. واستطردت قائلة:

- تفضلي يا ابنتي.. هذا آخر ما تبقى من أمير قبل أن ندفنه.. إن لم تغفري لأمير فعلته.. وقمتِ بالإبلاغ عنه هو وكل المتورطين معه.. فنحن سنغفر لكِ.. اذهبي سامحكِ الله عما فعلتِه.. فلم يعد لدينا ما نخسره، وهذا آخر شهر لنا هنا.. وسنغادر ونعود لوطننا.

أخذت منها ريم الخاتمين وهي تقاطعها:

- لا يا أم أمير.. أقسم لكِ أنني لم أقم بالإبلاغ عن أمير أبدًا.. ولم أذكر في تقريري اسمه حتى.. بل قمت بتضليلهم، ولكن البقية هم من اعترفوا عليه، كما أنكم لن تذهبوا إلى أي مكان.. وستظلون هنا، هل ستتركين أمير وحيدًا مدفونًا هنا! إن تركتِه يا أمي فأنا لن أخذله مرة أخرى.. ولن أتركه وحيدًا.. حتى لو كان تحت التراب.

وبدأت بالبكاء من جديد بحرقة وحسرة..

لتبكي أم أمير ووالده بعد سماع تلك الكلمات، ويتراجعا بعد ذلك عن قرار سفرهما، لتسألهما ريم عن القبر الذي دُفن فيه أمير.. وتستأذنهم بالذهاب إلى هناك.. فيقرروا جميعاً الذهاب معها أيضًا.

***

وصل الجميع إلى تلك المقبرة.. ثم ذهبت ريم تبحث عن اسمه بين القبور.. لتجلس عند قبره ودموعها منهمرة.. ترجاه أن يسامحها.. فهي لم تقصد أن تكسر بخاطره.. وتكون السبب في كل ذلك، ثم بدأت تتذكر كل كلماته الرقيقة وهو يعدها.. عندما مازحته قائلة أنها تريد أن تعمل في ذلك المكان.. وردَّ عليها أن طلبها قد نُفذ.. وتتذكر تلك اللحظات الجميلة التي قضتها معه، وعندما كان أول شخص يبارك لها على تخرجها.. ويتجول معها بين أرجاء المدينة.. وهو يعدها أنها ستكون أميرة ذلك القصر الذي سيملكه، وذلك الحصان الذي اشتراه خصيصًا لها بعد أن أُعجبت به.. كل دمعة تسقط من عينيها على قبر أمير.. ساحبةً معها العشرات من الذكريات.. فقد كان أمير يفعل كل هذا حتى يسعدها، لتكون هي أول من تتخلى عنه وتتسبب في قتله.. بل في حرقه..

ثم تقول بصوت متقطع يملؤه الحزن:

- سامحني يا أمير.. سامحني أرجوك.. لقد كنت قاسية معك.. وتخليت عنك وعن عائلتك في اللحظات التي كنتم تحتاجونني فيها، وأنت كنت معي في كل لحظة.. لأقوم أنا بالنهاية بتدميرك بيدي، لقد قمت بتقديم تقارير ومستندات تدينهم هم فقط، أقسم لك أنني أخفيت اسمك عن السلطات.. وحاولت تضليلهم وإبعادهم عنك، ولم أكن أتصور أن يحدث كل هذا لك ولعائلتك.. لم أكن أعلم أن كلامي سيجرحك.. حتى ينتهي بك بذلك الحادث الشنيع، لا أريد العيش بعد الآن، ليتني أنا من مت، أريد أن أموت وأُدفن بجانبك..

ثم أخرجت الخاتم من شنطتها.. لتلبسه مرة أخرى وتعده بأنها لن تخلعه أبدًا.. ولن تستبدله بأي خاتمٍ آخر..

وضعت أم أمير يدها فوق كتف ريم ثم قالت:

- كفى يا ريم.. لن يسمعك فقد مات، اهتمي أنتِ بحياتك الخاصة من جديد.. ولتنسي ما حدث واعتبريه قد انتهى..

قاطعتها ريم وعيونها يملؤها الحزن:

- حياتي بدأت مع أمير وستنتهي معه، لا أريد شيئًا آخر.

فاحتضنتها أم أمير بقوة.. ثم غادروا المقبرة بعد أن بدأت الشمس بالمغيب.

***

في صباح اليوم التالي ذهبت ريم إلى القيادات العليا.. حاملةً معها ورقة في يدها، لتدخل إلى المسئول.. تطلب منه إعفاءها من منصبها، فقد قررت تقديم استقالتها..

سألها ذلك المسئول متعجبًا:

- استقالةَ! ما السبب؟ فلم يمر إلا أيام قليلة على تكريمكِ وترقيتك!

- سيدي.. إنها أمور شخصية، وأريد طلبًا واحدًا فقط.. وهو الأخير.

- حسنًا، وما هو ذلك الطلب الأخير؟

أجابت ريم حزينة:

- أن تقوموا بالإفراج الكامل عن ممتلكات أمير، وإرجاع القصر الذي كان يملكه هو وعائلته.

- لقد فهمت الآن، حسنًا سأعفيكِ من منصبكِ منعًا للإحراج، ولكن إن أردتِ العودة في أي وقت، مكتبي مفتوحٌ لكِ دائمًا، أما بخصوص طلبك الوحيد والأخير.. فإنه صعب للغاية.. ولكن سأبذل قصارى جهدي.

عادت ريم بعد ذلك إلى منزلها.. لتجد والدها ووالدتها قد علما بالخبر، ليوبخاها على استقالتها من ذلك المنصب الرفيع.. والذي يحلم به أي شخص، فتجيبهم ريم أنها لا تستطيع الاستمرار في ذلك المكان.. خصوصًا بعد كل ما فعلته.. لتتوجه بعد ذلك إلى غرفتها سريعًا.. وتغلق على نفسها الباب.

***

بعد أيام.. ذهبت ريم إلى أسرة أمير.. لتفاجئهم أنها قد أحضرت مفاتيح القصر مرة أخرى.. وأنها أيضًا استطاعت أن تفرج عن كل الحسابات البنكية الخاصة بأمير، ليفرح الجميع بتلك الأخبار السعيدة، ولكن ظلت ريم حزينة.. فكم تمنت بالفعل لو أنَّ أمير مازال موجودًا معهم، ثم قاموا جميعًا بحزم حقائبهم.. ونقل أغراضهم مرة أخرى للعودة إلى ذلك القصر من جديد، وطلبوا من ريم ألا تتركهم أبدًا.. فقد أصبحت فردًا من تلك العائلة، لتعدهم ريم أنها لن تتخلى عنهم أبدًا.. وستعوضهم عن كل ما فقدوه..

شكرتها أم أمير وهي تقول:

- لقد فعلتِ الكثير من أجلنا يا ريم، لو كنتِ معنا يوم أن هددونا.. لما حدث كل ذلك..

سألتها ريم مذهولة:

- هددوكم! من الذين هددوكم يا أم أمير!

فتخبرها أم أمير باستياء:

- كل ما حدث لأمير.. كان بسبب تهديد شخصين يعملان في أمن الدولة لأبو أمير.. بعد أن قاما بتلفيق تهمة قتله لأخيه، وإجباره على توقيع بعض الأوراق بالقوة.. أوراق يعترف فيها أبو أمير بأنه من قتل أخيه.. وأيضًا ذلك الشخص الذي يُدعى سلطان.. هددنا كثيرًا بالقتل في حال عدم وصولنا لتلك المستندات.

انصدمت ريم وبدأ قلبها يخفق بسرعة.. وهي تتذكر كلام أمير لها بالمقهى قبل موته..

***

عادت ريم إلى بيتها.. جلست مع بيانكونير الحصان قليلًا.. ثم دخلت المنزل بعد ذلك.. وجدت والديها بانتظارها..

جلست معهما وهي تسأل:

- هل هناك شيء؟

فأخبرها والدها:

- ابن عمك عبدالعزيز يريد أن يخطبك، وقد جاءت والدته اليوم.. وأخبرتني وأخبرت والدتكِ بذلك، ونحن اليوم نريد أخذ رأيك.

طلبت ريم من والديها عدم مفاتحتها بذلك الموضوع مرة أخرى، فهي لن تتزوج من أحد ولا تفكر بذلك.. لتطلب الأم منها أن تفكر قليلًا وألا تتعجل.. غضبت ريم وتركتهم ذاهبةً إلى غرفتها.. تفكر فيما قاله والديها.. كيف يفكران في ارتباطها بغير أمير.. هذا أمرٌ مستحيل.

***

مرت الأيام والأسابيع.. وريم تتنقل من بيتها لبيت أسرة أمير، وتذهب في نهاية الأسبوع لتزور قبر أمير، وأحيانًا كانت تذهب وحيدة إلى ذلك المقهى.. الذي كانت تجلس فيه مع أمير آخر مرة، وتتذكر كلماته وهي حزينة.. ثم تعود لمنزلها من جديد.. وتجلس مع "بيانكونير".. والذي بدى عليه علامات الحزن.. واشتياقه إلى رائحة أمير.

دخلت المنزل لتجد والدتها تنتظرها، تريد التحدث معها..

نظرت إليها والدتها وهي تقول:

- ألم تتعبي وتملي يا ريم؟ ألا تحلمين بأن يكون لكِ بيت وأسرة وعائلة؟ فنحن لن نبقى لكِ للأبد يا ابنتي، فقد كبرنا في السن أنا ووالدك، ونريد أن يأتي ذلك اليوم الذي نفرح فيه جميعًا بزواجك.. ونراكِ أجمل عروسٍ في هذا العالم، ما حدث قد انتهى وأصبح رمادًا من الماضي، لم نمنعكِ أنا ولا والدك عن زيارة أهل أمير أو قبره.. مع التحفظ في رأينا عما تفعليه.. وأيضًا ذلك الحصان الذي نحتفظ به خارجًا.. والذي أصبح عبئًا علينا بتكاليف الاعتناء به.. ومع ذلك تركناكِ بكامل حريتك.. وذلك لما رأيناه من حالتك النفسية، ولكن الآن قد فات على تلك الحادثة ما يقارب الشهر.. وقد صححتِ أخطاءك تجاه عائلته، مع أنه كان عملك، لذا يجب عليكِ أن تبدأي أنتِ أيضًا حياتك من جديد، لقد جاءت زوجة عمك من جديد.. وتنتظر ردَّكِ في أقرب فرصة، فكري بالموضوع مجددًا وأبلغينا..

ردت ريم:

- حسنًا.. دعيني الآن يا أمي.. وسأفكر في ذلك الموضوع لاحقًا.

***

في اليوم التالي.. قررت ريم الذهاب مرة أخرى لمركز الشرطة.. والذهاب لذلك المسئول.. لتطلب منه العودة مرة أخرى للعمل، فقد ملت كثيرًا من وحدتها القاتلة في البيت، فالعمل قد يشغلها قليلًا وينسيها ما حدث..

رحب بها ذلك المسئول وأخبرها مبتهجًا:

- كنت متأكدًا أنكِ ستأتين للعمل مرة أخرى، لا تقلقي قدِّمي طلبكِ مرة أخرى.. واعتبريه أنه قد تمت الموافقه عليه، والآن أخبريني.. هل تحسنت حالتكِ النفسية؟

- نعم يا سيدي، أنا الآن أفضل، لذا أريد العودة مرة أخرى للعمل.

- هذا قرار جيد. هيا جهزي أوراقكِ للعودة مرة أخرى لمكتبك، يمكنكِ الانصراف الآن إذا أردتِّ.

عادت ريم مرة أخرى إلى عملها، ومع إلحاح أمها الشديد.. وافقت ريم أخيراً وهي غير مقتنعه بابن عمها، ولكن تريد أن ترضي والدها ووالدتها، لتفرح الأم كثيرًا وتخبرها أنها ستقوم بإبلاغ زوجة عمها أن يأتوا غدًا، ولكن ريم رفضت.. واشترطت عليهما أن يكون يوم الخطبة بعد أسبوعين، فوافق الجميع على ذلك.. واتصلت الأم بهم تخبر زوجة عمها بموافقة ريم.. وتخبرها أيضًا بذلك الشرط.

الحصان

بعد أن عادت ريم إلى عماها من جديد.. وعاد كل شيء إلى طبيعته من جديد.. ذهبت لتجلس عند قبر أمير حزينة..

قالت وعيونها تملؤها الدموع:

- لقد عاد كل شيء كما كان، وتم وقف تلك الشركة، ومحاسبة الجميع، وعاد القصر مرة أخرى.. ولكن أنت لم تعد لي يا أمير.. عد يا أمير.. أتوسل إليك.. لقد أخطأت في حقك، كان علي أن آخذ بيدك لتتوب عما فعلته.. وأن أصدقك فيما قلته لي عن تهديدهم لك..

مسحت دموعها بيدها.. ثم سمعت صوتًا غريبًا خلفها:

- هل لو عدت مرة أخرى.. لن تتركيني وتتخلي عني؟!

تنصدم ريم في لحظة ذهول من ذلك الصوت.. وتلتفت خلفها.. لتجد قدما شخص واقفًا خلفها..

نظرت للأعلى وألجمتها الصدمة:

- أمير!! ولكن.. كك.. كيف.. خـ.. هل خرجت من تحت الأرض؟!

ليفتح أمير ذراعيه ويضم ريم بقوة.. ويعانقها ويحملها للأعلى قائلًا:

- أنا لم أمُت يا ريم.. سأخبركِ بكل ما حدث فيما بعد..

ردت ريم عليه وهي تمسح بيديها وجه أمير.. ودموع حزنها تحولت لدموع فرح:

- أنا أيضًا أريد أن أخبرك بكل شيء، فقد علمت من أهلك أنهم هددوكم..

ردَّ أمير وهو يمسح دموعها:

- لا تخافي يا ريم لقد عدت إلى أهلي.. وأخبروني بكل ما جرى، ومن الآن فصاعدًا.. لا أريد أن أرى تلك الدموع مرة أخرى.

ثم طلب منها أن تترك سيارتها، وترافقه في سيارته..

وبينما هما في السيارة.. سألها أمير بحماس:

- ما رأيك بأن نذهب مرة أخرى إلى ذلك المقهى.. كي نتشاجر مرة أخرى و..

قامت ريم بوضع يدها على فم أمير سريعًا وهي تقول:

- سنذهب إلى ذلك المكان مرة أخرى، وستحضر لي تلك القهوة التي أحبها، ولكن لن نتشاجر أبدًا..

ثم فتح كف يده وقبَّلتها.. لابد أنها قبلة الحياة.. والتي أعادت أمير مرة أخرى من تحت التراب.. لتطلب منه ألا ينشغل عن الطريق مجددًا.. حتى لا يتكرر ما حدث.

وصل أمير ومعه ريم إلى ذلك المقهى، ثم جلسا في نفس المكان الذي جلسا فيه آخر مرة.. طلبت منه ريم بلهفة أن يحكي لها كل ما حدث.. فهي تشعر وكأنها في حلم، فهي غير مستوعبة لما يحدث أمامها حتى الآن.. فكيف له أن يكون حيًا.. و قد دفنه أهله بعد ذلك الحادث!!

سألها أمير بصوتٍ هادئ:

- هل تتذكرين ذلك اليوم.. عندما غادرتِ من هنا وأنتِ غاضبة؟

ردت ريم بحزن:

- هيا يا أمير.. لا تكن قاسيًا.. ولا تذكرني بذلك الماضي الأليم، نعم بالتأكيد أذكر.. ولكن لا أريد أن أتذكر ذلك مجددًا، فقط أكمل حديثك..

أكمل أمير ضاحكًا:

- حسنًا.. غادرت المكان بسيارتي عائدًا للمنزل، وفي الطريق قمت بالنظر لأعلى.. راجيًا من الله أن يسامحني.. وكنت مشتتًا قليلًا.. ولم أكن في كامل وعيي وأنا أقود السيارة، لتقوم شاحنة بالاصطدام بسيارتي.. وتنقلب السيارة عدة مرات على جانب الطريق.. فأجد نفسي بعدها في العناية المركزة.. فجأة وجدت نفسي مخطوفًا من قِبَل أشخاص مجهولين، وتم تهريبي بطائرة خاصة للولايات المتحدة، وتلقيت العلاج اللازم هناك، لا أعلم كيف قاموا بذلك.. ولكن من دقتهم وبراعتهم علمت أنهم أعضاء لويز..

قاطعته ريم متعجبة:

- كيف ذلك، فقد أخبرتني والدتك بأنهم وجدوا جثتك محروقة.. واستلموا جثتك وقاموا بدفنك!

ردّ أمير بابتسامة ساخرة:

- أجل لم يكن ذلك صعبًا عليهم، فذلك الشخص الذي دُفِن في قبري.. كان سلطان.. بعد أن تخلصت منه الشركة هو والجميع.. وبطريقةٍ ما قاموا باستبدال جثته بجسمي بعد حرقه، بينما تم تهريبي أنا للخارج.. وبعد شهرٍ تقريبًا أتممت وتلقيت فيه العلاج المناسب؛ أصبحت واعيًا نوعًا ما.. وقادرًا على الحركة.. فاصطحبوني مرة أخرى لمقر الشركة.. لأقابل السيد لويس صاحب تلك الشركة، فأخبرني أنه هو من قام بالتكفل بكامل المصاريف.. بدايةً من تهريبي للخارج.. وتجهيز جواز سفري الأمريكي بهوية جديدة.. ومصاريف سفري بطائرة خاصة.. حتى استكمال علاجي .. لا أعلم يا ريم بالحقيقة كيف قاموا بذلك.. ولكن

لديهم صلاحيات كبيرة جدًا.. فقد جهزوا جواز سفر وهوية جديدة باسمٍ جديدٍ لي، فأنا الآن أدعى جون..

قاطعته ريم مرة أخرى:

- هذا يعني أنك الآن إنسان جديد تمامًا.. وتحمل الجنسية الأمريكية بالأوراق والمستندات، أما أمير فقد انتهت حياته بماضيه بالكامل!!

رد أمير مبتسمًا:

- بالضبط.. لم يعد لدي الآن أي ماضٍ أو ملاحقات قضائية، كما أنني أستطيع التحرك والتنقل بكل سهولة بتلك الهوية الجديدة وهذا الجواز الرائع.. في أي مكان في العالم.. بدون تأشيرات أو أوراق أو إجراءات متعبة، لا أعلم إن كان الله قد استجاب توبتي أم لا.. ولكني لن أتوقف هنا.. وسأبدأ بالتكفير عما فعلته قريبًا.. حتى أُكفِّر عن جميع أخطائي السابقة..

ثم تابع أمير:

- لقد أخبرني السيد لويس أيضًا.. أن لديهم قوانين خاصة في الشركة.. وأن الخائن يُقتل حتى لو عاد إليهم تائبًا، وهذا ما قاموا بفعله قديمًا مع عمي وابنه.. فسألته ومن هو الخائن بعد ما حدث، فأجابني أنهم لم يستطيعو تحديد الخائن.. ولم يكن لديهم وقتٌ للبحث.. لذا قرروا تنفيذ قانون نوبل.. ولا أحد بالطبع يعلم بهذا القانون إلا القليل..

سألته ريم متحيرة:

- وما هو هذا القانون أيضًا؟

أجابها أمير بحزن:

- يعني الموت للجميع.. فقرروا التخلص من كل المسئولين في الفرع الخاص بنا وقتلهم.. وكان اسمي من ضمنهم أيضًا، فتعجبت من أنه يقول لي ذلك.. وبدلًا من ذلك قام على العكس بعلاجي، فسألته لماذا فعلت معي ذلك إذًا؟ فأجابني أنني بالفعل كنت ميتًا في ذلك الحادث و دفنت، ولكنه لم ينسَ ما قدمته لهم من خدمات.. وأنه وعدني سابقًا أنه سيرد ذلك الجميل في يوم من الأيام.. لذا قرر بأن يقتلني اسمًا فقط.. وقام بعلاجي فعلًا.. وعمل هوية جديدة تمامًا بطريقته الخاصة، ثم بعد ذلك طلب مني أن أنسى كل ما حدث.. وأن أبدأ حياتي من جديد كشخص مختلف تمامًا، وقام بتجهيز كل شيء لي، ليصبح أمير ميتًا هو وسلطان وبقية المسئولين.. بعد ذلك قمت بالسفر والعودة مرة أخرى إلى هنا، لتنبهر أمي عند رؤيتي.. ويُصدم والدي وإخوتي كذلك.. تخيلي.. لقد ظنوا أنني من الجن.. ولم يصدقوا أنني أمير فعلًا.. إلا عندما حكَيت لهم كل ما حدث، وسألتهم عنكِ بالطبع.. وأخبروني أنكِ تأتين لزيارة قبري بشكلٍ دوري، فقررت أن أُفاجِئك.. وأن أذهب إلى هناك لأراكِ.. هل تتذكرين تلك المفاجئة التي فعلتيها وأنا نائم؟

ردت ريم بخجل:

- صدقني يا أمير.. كانت غلطة مني وأعتذر.. أعدك أنها لن تتكرر.

أجابها أمير بحزن:

- هل تعلمين أن أحدهم اكتشف ذلك الجهاز الذي وضعتيه بسيارتي.. وكان ينوي الاتصال بسلطان .. وقد دبرت خطة حتى تخلصوا منه.. لو لم أتصرف في تلك اللحظة.. لاكتشف سلطان أنكِ وراء تلك الفعلة.. ولكنتِ أنتِ الآن في عداد الموتى.

فسألته ريم بدهشة:

- وكيف تصرفت يا أمير لتخرجني من تلك الورطة؟

أجابها أمير مبتسمًا:

- في أحد الأيام.. عندما كنت جالسًا مع الدكتور سالم.. أخبرني أنه عند فشل العمليات في المستشفى وموت المريض.. فإن الأطباء يقومون بتلك الخدعة الذكية.. حتى لا يقعوا في المشاكل مع أهل المريض.

سألته ريم بشغف:

- وما تلك الخطة الذكية.. أخبرني بها.

ضحك أمير قليلًا.. ثم أجابها:

- حسنًا.. عند فشل الأطباء أثناء الجراحة.. وعند موت المريض بعد العملية.. يخرج الطبيب الجراح ويخبر أهل المريض.. أن سبب الوفاة هي الجرعة الزائدة من المُخدِّر.. وبالطبع يقوم أخصائي التخدير بعمله قبل العملية والانصراف بعد ذلك.. فلن تضر سمعة طبيب التخدير لأن لا أحد يختاره.. ولن تضر سمعة الطبيب الجرَّاح.. لأنه ليس المتسبب في الوفاة.. لذلك أخبرتهم أن من قام باكتشاف الجهاز.. هو من زرعه بالفعل.. ليختاروا الحل الأسهل ويتخلصوا منه سريعًا.. ربما كان أفضل من أن يتخلصوا منَّا جميعًا.

ظلَّت ريم تستمع لما حدث مع أمير.. ثم أخرجت ريم من شنطتها الخاصة خاتمًا.. ظلت محتفظة فيه كل تلك الفترة..

ثم ناولته لأمير قائلةً:

- لقد خلعت خاتمي في المرة السابقة في لحظة غضب، ولكن اليوم ها أنا أعيده لك بنفسي مرة أخرى، وأطلب منك أن تلبسه، مع أنه المفروض طبعًا أن يحدث العكس.

أخذه أمير منها وهو يقول:

- بالطبع سآخذه.. ولن يخلعه أحد من إصبعي مرة أخرى.. إلا إذا مات جون هذه المرة!

- وأخذا يضحكان.. ويتناولان تلك القهوة الساخنة.

بعد ذلك.. قام أمير بسؤال ريم أيضًا عما حدث معها.. ولماذا قامت بذلك التصرف المتهور الذي كلفهم الكثير، فاعتذرت منه ريم وطلبت منه أن يسامحها..

فرد عليها أمير:

- لا تعتذري، لقد فعلتِ الصواب، ولكن تسرعتِ.. كان يجب علينا أن نفعل ذلك سويًا.. ولكن بطريقة حكيمة..

ثم تابع أمير كلامه:

- لقد عانيت الكثير أثناء علاجي بالخارج، فقد بلغت فترة علاجي ما يقارب الشهر، لقد أخبروني أنني كنت بين الحياة والموت، فقد فقدت الكثير من دمي في ذلك الحادث.. وفي بعض الأوقات أثناء العلاج كان يتوقف نبضي تمامًا.. ليعود وينبض من جديد مرة أخرى، لقد تأذى الكثيرون بسببي، أما الآن بعد أن عدت من جديد.. لن يتأذى أحد بسببي مجددًا، سأعود مرة أخرى لمكاني الصحيح.. لأحقق أمنية أمي.. وأعالج المرضى وأخدم المساكين، سأستثمر كل ما لدي في البنك.. لفتح المستشفيات التي تعالج الإدمان، يجب أن أعود إنسانًا طيبًا وأسترجع

إنسانيتي من جديد.. على الأقل لأكفر عن كل ما فعلته، وأنتِ كذلك.. أحسنتِ لأنكِ عُدتِّ إلى عملك مجددًا.. بعد أن قبضتٍّ على كل هؤلاء الخونة، ولكن هذه المرة أنا من سيقبض عليكِ.. وأدخلك السجن الموجود في ذلك القصر.. هل تتذكرينه أم نسيتيه؟

هزت ريم رأسها بالموافقة.. وأمسكت بيده وهي تسأله:

- هل ما يحدث حقيقة أم أنني أحلم.. هل أنت فعلاً أمير؟!

رد أمير ضاحكًا:

- بالتأكيد أنا أمير.. وانتهى وقت الأحلام.. وبدأ الآن وقت تطبيقها.

وقبل مغادرتها أخبرها أمير:

- أما الآن.. يجب علي الذهاب.. لأقوم بتحضير شيئًا مهمًا.. كان يجب عليَّ القيام به مسبقًا.. قبل أن أموت.

نظرت ريم في ساعتها قائلةً:

- وأنا كذلك.. يجب عليَّ أن أعود إلى المنزل الآن يا أمير، لقد تأخرت كثيرًا.. ولم أخبرهم في البيت أنني سأتأخر، فقد كانت تلك مفاجأة لم أتوقعها.

ثم حملت أغراضها وأكملت:

- هيا يا أمير، أوصلني إلى سيارتي.. لأنني تركتها هناك في المقبرة.

دفع أمير الحساب للنادل، ثم اصطحب ريم إلى سيارتها وودعها، لتركب هي الأخرى سيارتها بعد ذلك ذاهبةً إلى المنزل.

***

حتى عادت ريم إلى منزلها.. وهي في قمة سعادتها.. لتفتح باب المنزل بسعادة.. ويتعجب منها والديها..

سألت أمها مخاطبةً زوجها:

- هل جُنَّت ابنتنا ريم أم ماذا؟!

ذهبت الأم إلى ابنتها في غرفتها وسألتها:

- ماذا بكِ يا ريم!

فأجابتها ريم وهي تصرخ وترقص:

- لن تصدقي يا أمي ما حدث.. لقد عاد أمير!!

نظرت إليها والدتها متعجبة وهي تكرر:

- لقد عاد أمير! هل أنتِ بخير يا ريم؟

أجابت ريم وهي مسرورة:

- صدقيني يا أمي.. لقد فاجأني اليوم.. واصطحبني إلى نفس المقهى، مما جعلني أتأخر عليكم.. وحكى لي كل ما حدث له، لقد قاموا باستبدال جسده بجثة شخص آخر، ولكنه مازال على قيد الحياة..

سألت الأم متعجبة:

- من الذين قاموا بذلك يا ريم؟ يبدو أن كثرة زيارتك للمقابر جعلت عقلك يبدأ بالتخريف والهلوسة!

ضحكت ريم بشدة وهي تقول:

- أووه.. إنه موضوع كبير يا أمي، لن تصدقي أو تستوعبي ما حدث، إنها قصة طويلة جدًا يا أمي.

فجأة بدأ جميع من في المنزل يسمعون صوتًا بالخارج.. إنه صهيل "بيانكونير" وصوت أقدامه وحوافره التي أيقظت الجيران.. لابد أن هناك شيئًا غريبًا في الخارج.

رنَّ جرس البيت، وذهب أخت ريم الصغيرة.

نفتحت الباب قائلةً بصوت مرتفع:

- إنه أمير وأسرته يا أبي..

ذهب أبو ريم مصدومًا وهو يقول:

- أمير! أمير من؟!

ليرى أمامه أمير مع عائلته.. وذلك الحصان يلازم ظله ولا يريد الابتعاد عنه.. ليصاب أبو ريم بصدمة ودهشه كبيرة.. ويحتضن أمير بقوة طالبًا منه الدخول هو وعائلته، ليجتمع الجميع ويبدأ أمير في سرد كل ما حدث..

التفت أبو ريم إلى أمير وهو يقول:

- لقد عانيت كثيرًا أيها البطل، وحاولت أن تحمي أسرتك بكل ما تملك من قوة، ولهذا لن أخاف على ابنتي أبدًا طالما هي معك..

ردَّ أبو أمير قائلًا:

- لدي شرط مهم جدًا.. حتى نتجنب أي مشاكل قد تحدث، على الجميع أن يحافظ على هذا السر الذي سأقوله لكم الآن، فأمير الآن قد مات وتم دفنه.. ولم يعد له أي وجود معنا، أما الآن فهذا الشخص هو جون.. شقيق أمير الذي كان يدرس بالخارج في أمريكا.. حتى حصل على الجواز الأمريكي وعاد إلينا مجددًا.. وها هو الآن سيتزوج من ريم.

أجابه أبو ريم مسرورًا:

- إنها فكرة رائعة حقًا، فلن يستطيع أحد الشك ولو قليلًا عن شخصية جون، من الآن سنقوم جميعًا بمناداته بـ"جون".

ثم قاموا بالحديث عن تفاصيل الزفاف ومكانه.. وقاموا بترتيب كل شيء، وكان الجميع سعيدًا جدًا في ذلك اليوم.. أما بيانكونير، فظل يتراقص بالخارج بصهيله المميز..

***

بعد شهر.. قام أمير ووالده بتجهيز أكبر قاعة للأفراح في المدينة.. فقد كان حفل زفاف مميزًا جدًا، فجميع الأصدقاء والأقارب والجيران قد حضروا.. واحتفلوا جميعًا بتلك المناسبة الرائعة.. وبدأت احتفالات الرقص والغناء تعم أرجاء المدينة.. والجميع في غاية السعادة والبهجة، حتى حضرت سيارات شرطة وسيارات أمن خاصة متشابهة، يبدو أنهم قيادات عليا قاموا بالحضور..

ارتبك أمير قليلًا.. وسأل ريم بخوف:

- هل قمتِ بدعوة أحد من زملائكِ في العمل؟

أخبرته ريم مندهشة وبصوتٍ خافت:

- لم أخبر أحدًا منهم أبدًا كما طلبت مني، لا أعلم كيف علموا بذلك.. ولم حضروا! ولكن لا تخف فأنت الآن جون.. وأنت أمريكي الجنسية، لا تخف يا أمير لا أحد يعلم أبدًا أنك أمير، وجميع أوراقك وهوياتك صحيحة تمامًا، وأنا أعمل معهم وأعلم ما أقوله لك، حتى لو شكُّوا بأمرك.. لن يستطيع أحد محاسبتك الآن..

نظر أمير إلى ريم وهو يمسك يدها خائفاً يقول:

- آمل ذلك يا ريم..

نزل ذلك المسئول الكبير من السيارة.. وتوجَّه بعد ذلك إلى أهل العريس والعروس.. وبارك لهم جميعًا على الزواج.. ثم ذهب إلى ريم و أمير يبارك لهما..

ثم وجَّه كلامه إلى أمير قائلًا:

- ألف مبروك يا جون، أرجو أن تهتم بريم.. فمعزَّتِها عندي كمعزَّة ابنتي الصغيرة.

نظر إلى ريم مستطردًا:

- هل تسمحين لي يا ريم أن نتحدث أنا و جون قليلًا على انفراد؟

أومأت ريم برأسها بالموافقة وهي خائفة قائلة:

- حسنًا يا سيدي..

ذهب ذلك المسئول برفقة أمير في ركنٍ خالٍ من قاعة الحفل.. وتحدثا قليلًا والجميع منشغل بالاحتفال.. وريم تراقب بحرص ما يحدث بينهما من بعيد.. وهي جالسة في مكانها، حتى انتهيا وودع ذلك المسئول أمير.. وغادر الحفل، ليعود أمير صامتًا.. ويجلس مجددًا بجانب ريم.

سأله ريم منفعلة:

- ماذا كان يريد منك ذلك المسئول؟

- أجابها أمير بصوتٍ منخفض وهادئ:

- لقد علم أنني أمير ولست جون.. وذلك من خلال مطابقة بصمات العين.. عند عودتي مرة أخرى للدولة في المطار، وطلب مني أنهم سينسوا كل ما حدث.. وأن أنسى أنا أيضًا كل ما حدث.. وألا أفتح ذلك الباب مرة أخرى وأُغلقه للأبد، ثم ودعني وبارك لي وغادر.

ردَّت ريم متعجبة:

- طلب منك أن تنسى كل ما حدث! غريب!

قطع أمير تفكيرها.. وأمسك بيدها وهو يسحبها معه قائلًا:

- هيا بنا يا ريم، فلتنسِ أنتِ أيضًا ما حدث.. ولنفكر بدءًا من اليوم وبالمستقبل، هيا تعالي معي لنرقص مع الجميع.. فهذه الليلة لن تعوض..

وبدأ الجميع بالفعل بالاحتفال والرقص معهما..

***

مرَّت الأيام.. وبينما كان أمير يتجول مع ريم في ذلك المول، اتصلت به والدته.. وطلبت منه أن يشتري دواء الضغط الخاص بوالده، وبينما هما واقفان في الصيدلية.. يدخل شخص غريب ويطلب دواء ليبروسكاي، ليذهب ذلك الصيدلي الذي يعمل بالصيدلية.. ويحضر ذلك الدواء ويقدم له بعض الإرشادات.. كل هذا وأمير وريم يراقبان ذلك المشهد.. ناظرين إلى بعضهما البعض باستغرابٍ شديد!

سأل أمير ذلك الصيدلي:

- هل عاد ذلك الدواء مرة أخرى يا دكتور؟

أجابه الصيدلي:

- بالطبع يا سيدي.. فتلك الشركات لا تموت أبدًا.

نظر أمير إلى ريم وهو يقول:

- يبدو أنني غبت كثيرًا عن السوق الدوائي.. حتى أنهم عادوا من جديد وبقوة!

سمعه ذلك الصيدلي فقال:

- بالفعل، لقد عادوا بنفس القوة يا سيدي.. بل أن هناك مصادر وأخبار، أنه في القريب سيحدث دمج بين تلك الشركة وشركة أخرى كبيرة.

تساءل أمير:

- أيُعقل أن تتحد قوى الشر ويوحدوا مصالحهم.. ونحن لازلنا نختلف على أشياء بسيطة!

ثم طلب أمير من ذلك الصيدلي الدواء الذي يريده والده.. فذهب ذلك الصيدلي وأحضر له الدواء.

أمسكت ريم بيد أمير تسأله:

- ماذا سنفعل يا جون؟

أجابها أمير باستياء:

- لقد قلت لكِ في الماضي.. لن نستطيع محاربة تلك المجموعة.. إنها ليست مجرد شركة، إنها دولة فوق الدولة.. ولن تنتهي بتلك البساطة التي تتخيلينها يا ريم.. لن يقف أحد في طريقهم.. إنهم مسمى جديد للمافيا الدوائية تحت شعار لويز.

نظر إليه ذلك الصيدلي ودقَّق قليلًا في وجهه قائلًا بدهشة:

- هل أنت الدكتور أمير عبدالله.. الذي قُتل من شهر في حادث سيارة؟

أجيبه أمير ساخرًا:

- كيف تقول أنه قُتل ثم تسألني إن كنت أنا هو! كيف سأقف أمامك الآن يا دكتور إن كنت هو؟ ولكن لمَ تسأل هذا السؤال؟

رد ذلك الصيدلي معتذرًا:

- سامحني يا سيدي.. لقد سمعت الكثير والكثير عن ذلك الدكتور، فقد قدم الكثير لشركة "لويز".. حتى وصلت الشركة لما هي عليه الآن، وصيدلياتها التي بدأت بالانتشار بشكل جنوني، وصراحة حلم حياتي أن أصل لنصف ما وصل إليه الدكتور أمير.

ضحك أمير وهو يجيبه:

- حاول أن تكون قنوعًا بما لديك، فتارةً قد نحتاج لبيع ضمائرنا للوصول للأعلى، وتارةً أخرى قد نكون مرغومين على بيع ضمائرنا.. وإلا كانت حياتنا وحياة من نحبهم هي الثمن.. اسمع يا صديقي تلك النصيحة.. فهذا العالم مليء بالطيبين والأشرار، فقط حاول أن تكون من أولئك الطيبين.. فكل شيء في هذه الحياة زائل، وكل ما سيتبقى لك في هذا العالم من بعد موتك.. هو عملك الصالح.. والأثر الطيب الذي ستتركه من بعدك.. لينتفع به غيرك فيما بعد.

ثم أخذ الأدوية وغادر هو وزوجته الصيدلية.

***

في صباح اليوم التالي.. ذهب أمير برفقة ريم إلى مقر شركة لويز.. ليكتشف من موظف الاستقبال أن هناك مديرًا جديدًا.. وصل إلى مكتب المدير.. وتلهَّف بشغف ليرى ذلك الشخص الجديد.. الذي قامت تلك الشركة بتعيينه، ليجد الدكتور سالم خارجًا من المكتب المجاور.

ذهب إليه أمير سريعًا يسأله:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا دكتور سالم.. غادر هذا المكان سريعًا.. فهو لا يليق بك.

أجابه الدكتور سالم مندهشًا:

- أمير! حمدًا لله على سلامتك، ماذا حدث معك يا أمير؟ ألم تصدمك شاحنة وتوفيت؟!

فرد أمير:

- لا لم أمت.. وتعالجت والحمدلله.. وتزوجت من ريم، ولكن أجبني عن ذلك السؤال المهم يا دكتور سالم.. ماذا تفعل هنا في هذه الشركة؟

أجابه الدكتور سالم مبتسمًا بسخريه وبصوتٍ هادئ:

- ألم تعلم بعد الرئيس الحقيقي لهذا الفرع يا أمير؟

تعجب أمير، وسأله مذهولًا:

- الرئيس الحقيقي لهذا الفرع! ماذا تقصد؟

ضحك الدكتور سالم ساخرًا ثم قال:

- في الحقيقة لولاي.. لكنت أنت وأسرتك جميعًا تحت التراب الآن.. لقد عرضت فكرة مشاركتك بالصيدلية على السيد لويس.. وفي أول يومٍ أتيت لي فيه.. تسألني أن نتشارك معًا في تلك الصيدلية.. أحسست أنك انسان مميز.. شخص طموح مثلك لا يمكنني أن أتخلى عنه.

سأله أمير متعجبًا:

- وكيف علمت أنني طموح، أو أنني مميز؟

رد الدكتور سالم بثقة:

- لقد نجحت في أول اختبار وضعته لك.. لقد قبلت المجازفة بمشاركتي في الصيدلية، أنت لست شخصًا عاديًا يبحث عن الطريق السهل.. ليصبح موظف براتبٍ ثابت، لقد كان طموحك يعكس تلك الشخصية القوية، وذلك العقل المميز الذي أفادني كثيرًا.

قاطعه أمير غاضبًا:

- إذا كنت أنت الرئيس.. فماذا عن سلطان؟

ابتسم الدكتور سالم:

- ألم يقل لك سلطان أننا نخطط لكل شيء بدقه متناهية.. لهذا كان على الرئيس الحقيقي التخفي وحماية نفسه.. أما سلطان فهو مجرد دمية، وقد انتهى دورها.

سأله أمير باستغراب:

- ألم يكن سلطان الوزير في لعبة الشطرنج؟ كيف تتخلصون منه بتلك السهولة؟

ضحك الدكتور سالم من جديد وهو يقول:

- ما يعجبني فيك.. ذلك العقل الذي يتعلم بسرعة.

ثم أشار الدكتور سالم بيده طالبًا من أمير أن يتبعه إلى تلك الطاولة .. ليريه لعبة الشطرنج.. ويطلب منه الجلوس.. ثم يقول:

- هل تتذكر ما قاله لك سلطان عن تلك اللعبة.. بالفعل سلطان كان الوزير.. ولكن حتى إن مات الوزير.. نستطيع إعادته من جديد، بأن يصل ذلك الجندي للطرف الآخر.. أما الملك؛ فلا يموت أبدًا.. قد يتم محاصرته وخنقه.. ولكن لن يموت.. أنا هو ذلك الملك يا أمير.

ردَّ أمير مصدومًا:

- أنت يا دكتور سالم؟ أجل.. لقد تذكرتُ الآن.. أنت من كان يعطيني تلك المفاتيح.. لأقوم بعد ذلك بتلك الأعمال.. لقد فهمت الآن كل شيء!

نظر الدكتور سالم إلى قطع الشطرنج وسأل أمير:

- لم تسألني عن موقعك في تلك اللعبة يا أمير!

رد أمير ساخرًا:

- لا أعلم .. ولكنني لن أكون أقوى من الوزير الذي ضحيتم به!

ضحك الدكتور سالم مجددًا.. وأمسك بالحصان في اللعبة قائلًا:

- هل ترى تلك القطعة يا أمير؟ إنها القطعة الوحيدة في اللعبة التي لا يستطيع أحد تقليد حركتها.. حتى الوزير.. من السهل أن نفقد الوزير ونرجعه مرة أخرى للعبة.. حتى في غيابه جميع القطع الأخرى تمتلك أسلوبه.. ولكن إذا اختفى الحصان؛ لن يعود مجددًا.. وسيختفي هو وأسلوبه الفريد.. لقد كنت أنت ذلك الحصان.. بالمناسبة لقد أنقذتك من الموت المحتم مرتين.. هل تعلم ما يعجبني بذلك الحصان يا أمير؟

أجابه أمير مبتسمًا:

- بالتأكيد تلك الحركة الخادعة.. ففجأه تجده يهاجم عدوه دون أن يشعر.. لحظة.. كيف تخبرني أنك كنت متخفٍّ كل ذلك الوقت، وفي المقابل سافرت أنا ورأيت صاحب الشركة شخصيًا!!

تتسع عينا أمير للحظات وهو يقول:

- لحظة.. لا تقل لي أنه مجرد واجهة فقط.. ولا أحد يعلم من المالك الحقيقي لتلك الشركة!

ابتسم الدكتور سالم قائلًا:

- لقد أصبحت محترفًا في تلك اللعبة يا أمير.. إذا أردت العودة من جديد.. فمكتبك جاهز.. بالمناسبة.. لقد علمت بما فعلته ريم.. ولكنني فضلت أن أضحي بجميع القطع.. من أجل الحصان.. لا تخف أعدك ألا يعلم أحد بما حدث.

شكره أمير قائلًا:

- أشكرك يا دكتور على ذلك، ولكن اسمح لي فلن أعمل معكم من جديد.. لقد وجدت طريقي الصحيح مرة أخرى، أتمنى أن تجد طريقك الصحيح أنت أيضًا وتسلكه.

أجابه الدكتور سالم بغرور:

- عندما تلعب الشطرنج.. لا يمكن أن ترجع للوراء مرة أخرى.. يجب أن تكمل حتى النهاية.. ولكن في لعبتنا هذه لا يوجد نهاية.. وستستمر اللعبة للأبد.

ضحك أمير ضحكًا هستيريًا.. وأخذ بيد ريم.. وسحبها معه خارج تلك الشركة قائلًا:

- دعينا نذهب ونبتعد من ذلك الجحيم يا ريم، فلن يتغير شيء مهما حدث.

***

بعد عدة أسابيع.. أنشأ أمير شركته الخاصة الكبيرة ومجموعة صيدلياته.. فالبرغم من قلة عددها؛ إلا أنها كانت تتسم بأمانتها وسمعتها القوية.. وقام بإنشاء مجموعة كبيرة من الجمعيات الخيرية.. الخاصة بمحاربة الإدمان والمخدرات، وفي الجانب الآخر قامت ريم بتقديم استقالتها لتهتم بشئون بيتها وطفلها الجميل..

وكان أمير أو جون، من أوائل الرعاة الماديين لدعم المؤتمرات الداعمة لمحاربة تلك الأدوية التي تؤثر على العقل.. ومحاولة السيطرة عليها بوضع قوانين قوية.. حتى صدرت قوانين دولية خاصة.. بضم تلك الأدوية للأدوية المراقبة، ووضع كاميرات مراقبة عليها في الصيدليات.. التي تقوم باستيراد مجموعة كبيرة منها.. وطلب جميع المعلومات المتعلقه بالمرضى الذين يستخدمون تلك الأدوية.. متضمنة الاسم والعنوان ورقم الهاتف الخاص بهؤلاء المرضى.. بل واسم الطبيب المعالج الذي يقوم بكتابة الوصفة.. والتشديد على الأختام الخاصة بهؤلاء الأطباء.. وتسجيل

أسمائهم بلائحة خاصة.. وأيضًا تخصيص حدٍ معين لكمية الجرعات التي يكتبها كل طبيب، حتى أنهم قاموا أيضًا بوضع خطة لعمل بطاقة إلكترونية للمرضى الذين يستعملون تلك الأدوية بكميات محددة شهريًا، حتى لا يحدث تلاعب بأي شكل من الأشكال..

ولكن مع كل هذا.. مازال ذلك الدواء موجودًا، ويباع في السوق السوداء حتى الآن!!

تمت

الفهرس



حروف من نور

١٠ برج الاشراف-شارع الهداية-المريوطية فيصل-الجيزة

"جمهورية مصر العربية"

الإيميل: yavinour@gmail.com

ت/ ٠١٠٠٨٢٨٩٦٦٧ (٠٠٢)